

ملحة الأخلاق

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

(٥٤١ - ٦٢٠ هـ)

شرح
محمد بن صالح العثيمين

حققه، وخرج أحاديثه

أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مكتبة دار طبرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
لقد أذنت للآخ - أشرف عبد المقصود - بطبع بل بالمادة طبع شرح لمعة
الاعتقاد بشرط العناية بالنصحيح وأن لا يحتفظ بحقوق الطبع لمن أراد
طبعها مجاناً فإنه كاتبه مراد صالح العثيمين في ١٢/٧/١٤١٢ هـ
مراد صالح

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

مكتبة طهرتية - الرياض - النسيم - أول شارع الأربعين التجاري بجوار بنده

ت : ٢٣٢١٠٤٥ - ص.ب ٩١٦٦٧ لصاحبها/ على صنهاة الحربي

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- * المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي .
- * الإمارات العربية المتحدة : مكتبة دبي للتوزيع .
- * قطر : مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣ .
- * باقي الدول : دار ابن حزم - بيروت - ت ٨٣١٣٣١ .

مُقَدِّمَةُ الْحَقِيقِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات. أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد :

فهذا كتاب « شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة » تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين في حلته الجديدة نقدمه لإخواننا المسلمين ليروا فيه صورة مشرقة زاهية ناصعة نقية لاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة . وفي وقت أحوج ما نكون فيه إلى تصحيح الاعتقاد الذي هو بمثابة الأساس الراسخ لبنیان الأعمال الصالحة . وقد ضرب مؤلف هذا المعتقد بسهم وافر في السير على طريقة السلف وأئمة المحدثين في هذا الباب فتراه قد ملأ كتابه بالآيات القرآنية والنصوص الحديثية وأقوال الصحابة وأقوال الأئمة الأعلام . فقد كان رحمه الله حسن الاعتقاد^(١) ، نزهاً عابداً على قانون السلف^(٢) إماماً في العلم والعمل . وكان لهذا المعتقد السليم أثر بالغ في حياته حتى قالوا عنه : « من رآه كأنه رأى بعض الصحابة »^(٣) وقد نقل العلامة ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية فقرة من هذا المعتقد وصدر ذلك بقوله : « قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي الذي اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته خلا جهمي أو معطل »^(٤) . ا. هـ .

(١) وصفه بذلك عمرو بن الحجاب كما في سير أعلام النبلاء (١٦٧/٢٢) .

(٢) وصفه بذلك ابن النجار كما في الذيل على طبقات الحنابلة (١٣٥/٢) .

(٣) القائل هو سبط ابن الجوزي كما في الذيل (١٣٤/٢) .

(٤) اجتماع الجيوش ص (١٩١) .

ورغبة في نشر العقيدة الصحيحة قمنا بتدريس هذا الكتاب في مسجدنا لإخواننا بالاستعانة بشرح الشيخ محمد الصالح العثيمين وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم غير ذلك من المصنفات في هذا الباب . فألح على بعض الإخوان في تخريج هذا الشرح وطبعه مع المتن لتعم الفائدة فألفيته اقتراحاً سديداً فاستخرت الله تعالى واستعنت به وشرعت في ذلك سائلاً المولى جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به مؤلفه وشارحه ومن علق عليه وناشره وقارئه وطابعه :

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشعراء : ٨٨ ، ٨٩]

وخير وصية أوصى بها إخواني في هذا المقام هي قول الله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

[البقرة : ٢٨٢] .

وما أحسن ما قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : « عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك ورأى الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم »^(١) .

وقال : « فاصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل فيما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسلك ما وسعهم »^(٢) .

والله تعالى أسأل أن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً . كما نسأله سبحانه أن يعيذنا من علم عاد كلاً وأورث ذلاً وصار في رقبة صاحبه غلاً وأن يمن علينا بتحقيق التوحيد علماً وعملاً واعتقاداً وحالاً ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته

(١) أثر صحيح ، يأتي تخريجه ص (٤٢) من هذا الكتاب .

(٢) رواه اسماعيل بن الفضل في الحجة في بيان المحجة بإسناد صحيح .

وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، ما شاء
الله لا قوة إلا بالله ، توكلت على الله ، اعتصمت بالله ، استعنت بالله ، وفوضت
أمرى إلى الله ، واستودعت الله دينى ونفسى ووالدى وإخوانى وأحبائى وسائر من
أحسن إليّ وجميع المسلمين وجميع ما أنعم به علىّ وعليهم من أمور الآخرة والدنيا ،
فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه ونعم الحفيظ^(*) .

• وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم
تسليماً .

وسبحانك اللهم وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

مصر . مدينة الإسماعيلية . الجمعة ٦ من رجب ١٤١٠ هـ .

وكتب

أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم .

(*) الأذكار للنووى (ص ٤٤) بتصرف .

عَمَلُنَا فِي الْكِتَابِ

- ١ - جمعنا في هذه الطبعة بين المتن لابن قدامة والشرح للشيخ محمد الصالح العثيمين بطريقة تسهل على القارئ الاستيعاب حيث فصلنا بين المتن والشرح بكلمة « الشرح » .
 - ٢ - وضعنا الآيات من المصحف كما ضبطنا الأحاديث ، والآثار وما يشكل من العبارات والألفاظ في المتن والشرح .
 - ٣ - خرّجنا الآيات وبيننا مواضعها في المصحف ووضعنا التخريج بجانب كل آية .
 - ٤ - تخرج الأحاديث والآثار والأقوال وبيان درجة كل منها مع مراعاة أنه إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فيكتفى بذلك كما هي طريقة الحافظ العراقي في تخرج الإحياء .
 - ٥ - أضفنا بعض التعليقات المهمة من استدراك أو تعقيب أو توضيح أو تنبيه أو غريب أو فائدة ... إلخ .
 - ٦ - قدمنا بمقدمة تشمل ترجمة مختصرة لابن قدامة ونبذة عن تصانيفه في الاعتقاد . ونبذة عن الشيخ محمد الصالح العثيمين وتسانيفه في الاعتقاد .
 - ٧ - وضعنا للكتاب فهرس تفصيلية للموضوعات ، والآيات ، والأحاديث ، والآثار .
 - ٨ - اعتمدت في الطباعة بالنسبة لمتن « لمعة الاعتقاد » طبعة الدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر لأنها مرقمة ومنظمة ونهت على بعض الفروق في الهامش . وكذا وضعنا عناوين رئيسية للمتن تناسب الفقرات .
- الطبقات السابقة لمتن « لمعة الاعتقاد لابن قدامة » :
- ١ - طبعة مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٣٨هـ . عن مخطوطة كتبها عمر بن غازي على المقدسي الحنبلي . وفرغ من كتابتها في ليلة السابع من شهر رجب سنة ٧٧٥هـ . بدمشق وعلى هذه الطبعة توالى جميع الطبعات .

٢ - طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٤٠هـ . ضمن مجموع « عشر رسائل وعقائد » بإشراف الشيخ محمد أحمد عبدالسلام .

٣ - طبعة المطبعة السلفية بالروضة بمصر سنة ١٣٧٠هـ . عن طبعة الترقى بدمشق وعليها تعليقات غير منسوبة وهي من منشورات المعهد العلمي بالرياض كما كتب عليها .

٤ - طبعة دار البيان بدمشق سنة ١٣٩١هـ بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط دون أن يكتب اسمه عليها ، ثم أعيد طبعها بالمكتب الإسلامي سنة ١٣٩٥هـ كذلك ثم أعيد طبعها مع تنقيحات بدار الهدى بالرياض سنة ١٤٠٨هـ وكتب عليها اسم الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ومقدمة له أيضاً .

٥ - طبعة الدار السلفية بالكويت سنة ١٤٠٦هـ ضمن سلسلة عقائد السلف بتحقيق بدر البدر . وذكر في أولها أنه اعتمد على طبعة المنار ١٣٥١هـ .

٦ - طبعة مكتبة القرآن بمصر ١٤١٠هـ باسم « الإعتقاد » وهي من أسوأ الطباعات من حيث التعليق والشرح حيث أساء محقق الكتاب جداً في التعليق على هذه الطبعة فحشاها بالتأويلات الباطلة لأيات وأحاديث الصفات وقرر فيها منهج الأشاعرة فليحذر مُطالع هذه الطبعة من هذه الأمور المخالفة للاعتقاد الصحيح اللهم هل بلغت اللهم فاشهد .

□ هذا وقد طبع شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد الصالح العثيمين بمكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٠٣هـ . وانتشرت بعد ذلك طبعاته وكل هذه الطباعات بدون المتن .

* * *

ابن قدامة المقدسي في سطور

□ اسمه ونسبه :

هو موفق الدين أبو محمد ، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبدالله المقدسي ، ثم الدمشقي ، الصالحى .

□ ولادته :

ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ ، بقرية جماعيل من جبل نابلس .

□ نشأته ورحلاته :

- قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين ، فقرأ القرآن ، وحفظ مختصر الخرق .
- رحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبدالغنى سنة ٥٦١هـ وسمعا الكثير من مشايخ كثيرين فيها ..
- تفقه حتى فاق أقرانه وحاز قصب السبق ، وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله .

□ ورعه وزهده :

كان ورعاً ، زاهداً ، تقياً ، عليه هبة ووقار ، وفيه حلم وتؤدة ، وأوقاته مستغرقة للعلم والعمل ، وكان يفهم الخصوم بالحجج ، والبراهين ، ولا يتحرج ولا ينزعج ، وخصمه يصيح ويحترق .

□ شيوخه :

تَلَقَّى الشَّيْخُ ابْنَ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ عَلَى عَدَدٍ وَافِرٍ مِنَ الشُّيُوخِ وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ تَقَى الدِّينَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ ٦١٢ هـ وَفَقِيهِ الْعِرَاقُ نَاصِحُ الْإِسْلَامِ أَبَا الْفَتْحِ نَصْرَ بْنَ فُتَيَانَ الشَّهِيرَ بِابْنِ الْمُنَى .

□ تلاميذه :

كَثُرَ تَلَامِيذُهُ جَدًّا وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ ٦٦٥ هـ وَالْحَافِظُ زَكِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَنْذَرِيُّ ٦٥٦ هـ وَغَيْرُهُمَا .

□ من أقوال العلماء فيه :

- قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ : « مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الشَّيْخِ الْمَوْفِقِ » .
- وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : « مَا دَخَلَ الشَّامَ - بَعْدَ الْأَوْزَاعِيِّ - أَفْقَهُ مِنَ الشَّيْخِ الْمَوْفِقِ » .
- وَقَالَ الْمَنْذَرِيُّ : « الْفَقِيهُ الْإِمَامُ ، حَدَّثَ بِدَمَشْقَ ، أَفْتَى وَدَرَّسَ ، وَصَنَّفَ فِي الْفَقْهِ وَغَيْرِهِ مَصْنُفَاتٍ مُخْتَصِرَةً وَمَطُولَةً » .
- وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : « أَحَدُ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ » (*) .
- وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : « شَيْخُ الْإِسْلَامِ ، إِمَامُ عَالَمٍ ، بَارِعٌ ، لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ وَلَا قَبْلَ دَهْرِهِ بِمَدَّةٍ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

□ تصانيفه :

وَقَدْ كَثُرَتْ تَصَانِيفُ الْإِمَامِ الْمَوْفِقِ جَدًّا وَلَا قَتَ الْقَبُولُ الْحَسَنُ مِنَ الْعُلَمَاءِ : قَالَ ابْنُ رَجَبٍ : « صَنَّفَ الشَّيْخُ الْمَوْفِقُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - التَّصَانِيفَ الْكَثِيرَةَ الْحَسَنَةَ فِي الْمَذْهَبِ ، فُرُوعاً وَأَصُولاً وَفِي الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، وَتَصَانِيفُهُ فِي أَصُولِ

(*) أَشَارَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ تَرْجَمَةً (٦٦٩-الرسالة) فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَالسُّنُونِ إِلَى أَنَّ الضِّيَاءَ الْمَقْدِسِيَّ عَمِلَ لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي جَزَائِينَ وَقَدْ نَقَلَ مِنْهَا فِي التَّرْجَمَةِ كَثِيرٌ جَدًّا مِنْ سِيرَتِهِ فَلْتَرَجَع .

الدين في غاية الحسن ، أكثرها على طريقة المحدثين مشحونة بالأحاديث والأثار
وبالأسانيد ، كما هي طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث « أه .

ومن هذه التصانيف :

في الفقه : المغنى ، والكافي ، والعدة ، والعمدة ، والمقنع ...

وفي العقيدة : لمعة الاعتقاد ، القدر ، ذم التأويل

وفي أصول الفقه : روضة الناظر ...

وفي الرقائق والزهد : الرقة والبكاء ، والتواوين .

وفي الحديث : مختصر علل الحديث للخلال

إلى غير ذلك من المصنفات وهي ما بين مطبوع ومخطوط ، نسأل الله أن ترى
النور قريباً .

* * *

للتوسع في ترجمة ابن قدامة راجع :

- ١ - التكملة في وفيات النقلة للمندري (١٠٧/٣) .
- ٢ - تاريخ الإسلام للذهبي الطبقة الثانية والستون مؤسسة الرسالة ترجمة رقم (٦٦٩)
- ٣ - العبر في خبر من غير للذهبي (٨٠-٧٩/٥) .
- ٤ - سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٣-١٦٥/٢٢) .
- ٥ - البداية والنهاية لابن كثير (١٠٠-٩٩/١٣) .
- ٦ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١٤٩-١٣٣/٢) .
- ٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٩٢-٨٨/٥) .
- ٨ - معجم البلدان لياقوت الحموي (١٥٩/٢) .
- ٩ - فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي (١٥٩-١٥٨/٢) .
- ١٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) للشيخ الألباني .
- ١١ - مقدمة تحقيق كتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة بقلم بدر البدر .

فصل

في ذكر تصانيف ابن قدامة في الاعتقاد

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (١٣٩/٢) : « صنف الشيخ موفق رحمه الله التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب ، فروعاً وأصولاً . وفي الحديث ، واللغة ، والزهد ، والرقائق .

وتصانيفه في أصول الدين في غاية الحسن ، أكثرها على طريقة أئمة المحدثين مشحونة بالأحاديث والآثار ، وبالأسانيد ، كما هي طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث . ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام ، ولو كان بالرد عليهم . وهذه طريقة أحمد والمتقدمين . وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره ، لا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تفسير ولا تكييف ، ولا تمثيل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل .

فمن تصانيفه في أصول الدين :

- ١ - البرهان في مسألة القرآن . جزء^(١) .
- ٢ - جواب مسألة وردت من صرخد^(٢) في القرآن . جزء .
- ٣ - الاعتقاد . جزء^(٣) .

(١) نشر في مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٩) والتي تصدر عن دار الإفتاء بالرياض . بتحقيق د. سعود بن عبدالله الفنيسان .

(٢) صرخد : قرية من قرى الشام بقرب حوران ، وقد ذكر هذا الكتاب أيضاً ابن العماد .

(٣) وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعليق على شرحه . وقد ذكره بهذا الاسم أيضاً ابن شاكر والذهبي وابن العماد .

- ٤ - مسألة العلو . جزآن^(١) .
- ٥ - ذم التأويل . جزء^(٢) .
- ٦ - كتاب القدر . جزآن^(٣) .
- ٧ - فضائل الصحابة . جزآن ، وأظنه : « منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين »^(٤) .
- ٨ - رسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية في تخليد أهل البدع في النار^(٥) .
- ٩ - مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام . « أ.هـ .
- ثم قال بعد أن ذكر بقية تصانيفه : « وانتفع بتصانيفه المسلمون عموماً ، وأهل المذهب خصوصاً . وانتشرت واشتهرت بحسن قصده ، وإخلاصه في تصنيفها » أ.هـ^(٦)

* * *

-
- (١) طبع سنة ١٣٢٢هـ في مطبعة مجلة المنار بمصر ، وأعيد طبعه محققاً على عدة نسخ خطية بالدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر . وقد نقل الحافظ ابن القيم منه فقرة في كتابه اجتماع الجيوش ص (٨٧) .
- (٢) طبع ضمن مجموعة اعتقاد السلف تحقيق النشار والطالبي . طبعة منشأة المعارف وكذا بتحقيق بدر البدر .
- (٣) ذكره الذهبي أيضاً وكذا ابن شاکر .
- (٤) ذكره الذهبي وابن العماد .
- (٥) ذكرها ابن العماد .
- (٦) ومن تصانيفه أيضاً في باب الاعتقاد :
- أ - حكاية المناظرة في القرآن أو المناظرة لأهل البدع في القرآن . طبع بتحقيق الأخ عبدالله بن يوسف كرمه الله .
- ب - ذم ماعليه مدعو التصوف . طبع ضمن مجموعة من دفائن الكنوز بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله .
- ج - الصراط المستقيم في بيان الحرف القديم . قال محقق كتاب البرهان في بيان القرآن لابن قدامة : « جزء لم يطبع وهو موجود عندى أرجو أن أوفق في إخراجة إن بقى في العمر بقية » .

فصل

نبذة عن الشيخ العثيمين وتصانيفه في الاعتقاد

□ نسبه : هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التيمي^(*).

□ مولده : ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ .

□ نشأته : قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب . وكان الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ على الصالحى والثانى الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله . قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن السعدى ومنهاج السالكين فى الفقه للشيخ عبد الرحمن أيضاً والأجرومية والألفية . وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن على بن عودان فى الفرائض والفقه .

● وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى الذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

● وقرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثانى فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

□ تقدمه فى العلم وجهوده فى مجال الدعوة :

● وفى عام ١٣٧١ هـ جلس للتدريس فى الجامع ، ولما فتحت المعاهد العلمية فى الرياض التحق بها عام ١٣٧٢ هـ وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً فى معهد عنيزة

(*) راجع مقدمة المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين « الجزء الأول » فتاوى العقيدة ، نقلاً من كتاب علماؤنا ، إعداد فهد البدراى وفهد البراك ص (٤٢) بتصرف وزيادات .

العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله .

● ولما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، والتدريس في مكتبة عزيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن . بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

● وللشيخ العثيمين نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير المسلمين فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة بالمسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفي دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف في شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في موسم الحج .. في الصحف والمجلات .. في برنامج نور على الدرب بالإذاعة .. في مراسلاته مع كثير من طلبة العلم والقراء ... إلخ والتي تحمل رداً شافياً كافياً على الأسئلة التي ترد إليه يومياً .

□ تصانيفه في الاعتقاد :

وللشيخ محمد الصالح العثيمين عدد كبير من المؤلفات القيمة التي انتفع بها الناس في العقيدة وفي الفقه وأصوله وفي الوعظ والإرشاد والدعوة . والتي يدرس عدد كبير منها بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .

ونذكر هنا منها ما يتعلق بالعقيدة :

- ١ - فتح رب البرية بتلخيص الحموية وهو أول كتاب طبع له . وقد فرغ منه في ٨ ذى القعدة سنة ١٣٨٠ هـ وهو مطبوع ضمن مجموع رسائل في العقيدة طبعة مكتبة المعارف بالرياض .

- ٢ - بُذ في العقيدة الإسلامية : شرح فيه أركان الإيمان الست بطريقة مبسطة وتعتبر هذه الرسالة مقرر السنة الثالثة الثانوية في المعاهد العلمية في المملكة في التوحيد . وهو مطبوع ضمن المجموع السابق بمكتبة المعارف بالرياض .
- ٣ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى : وهو من أروع ماكتب الشيخ العثيمين وقد قمنا بتخريجه والتعليق عليه وقد طبع والحمد لله^(٥) .
- ٤ - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة : وهو هذا الكتاب وهو مقرر السنة الأولى الثانوية في التوحيد في المعاهد العلمية .
- ٥ - عقيدة أهل السنة والجماعة : ذكر فيها ملخص ومجمل اعتقاد أهل السنة وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- ٦ - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية : وهي مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد . مطبوع متداول .
- ٧ - تفسير آية الكرسي . ويعتبر هذا التفسير فصلاً رائعاً من كلام الشيخ في الأسماء والصفات . مطبوع متداول .
- ٨ - رسالة في الوصول إلى القمر . طبع ضمن مجموع رسائل في العقيدة .
- ٩ - بالإضافة إلى فتاوى الشيخ في العقيدة والتي طبعت أكثر من مرة ضمن كتب الفتاوى له وفي المجلات والصحف .

* * *

(٥) من مطبوعات مكتبة السنة بالقاهرة ١٤١١هـ .

شَرْحُ

مُعْجَزَاتِ الْأَعْيُنِ قَائِدِ

الهُدَى إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

لِلْإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قُدَامَةَ الْقُدْسِيِّ

(٥٤١ - ٦٢٠ هـ)

تَأَلَّفَ

مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعِثِمِيِّ

مُحَقِّقَهُ، وَضَرَعَ أُمَامَتَهُ

أَشْرَفُ بْنُ عَبْدِ الْمُقْصُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح (ابن عثيمين)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة ٥٤١ هـ بقرية من أعمال نابلس المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ بدمشق رحمه الله .

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه ليكون ركيزة يعتمد عليها في هذه المرحلة . ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً ومنهجاً وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب في القصد والعمل على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه وتبين موارده وتبرز فوائده . والله أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين وأن يمدني بروح من عنده وتوفيق وأن يجعل عملي مباركاً ونافعاً إنه جواد كريم .

محمد الصالح العثيمين

تحريراً في ١٠/١/١٣٩٢ هـ

قَوَاعِدُ هَامَةٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته (*) .

القاعدة الأولى :

في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته :

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبى ﷺ يتكلم باللسان العربى فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هى عليه فى ذلك اللسان ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف : ٣٣]

مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

[المائدة : ٦٤]

فإن ظاهر الآية أن الله يدين حقيقتين فيجب إثبات ذلك له فإذا قال قائل المراد بهما القوة قلنا له هذا صرف للكلام عن ظاهره فلا يجوز القول به لأنه قول على الله بلا علم .

* * *

(*) للشيخ محمد الصالح العثيمين كتاب رائع فى الأسماء والصفات ذكر فيه عدداً من القواعد الهامة فى هذا الباب وقد قمنا بتحقيقه أيضاً ويسمى : « القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحُسنى » فهو جدير بالمطالعة والعناية .

القاعدة الثانية :

في أسماء الله

وتحت هذه القاعدة فروع :

● الفرع الأول : أسماء الله كلها حسنى :

أى بالغة فى الحسن غايته ؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

[الأعراف : ١٨٠]

مثال ذلك : الرحمن فهو اسم من أسماء الله تعالى ، دال على صفة عظيمة هى الرحمة الواسعة . ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله : الدهر : لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن فأما قوله ﷺ : « لَا تُسَبِّحُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ »^(١) فمعناه

(١) مسلم : كتاب الألقاظ من الأدب : باب النهى عن سب الدهر (٢٢٤٦) (٥) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وقال الحافظ فى الفتح (٥٦٥/١٠) : « وأخرجه أحمد من وجه آخر عن أبى هريرة بلفظ : « لَا تُسَبِّحُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : أَنَا الدَّهْرُ ، الْيَوْمَ وَاللَّيَالَى لِي أَجَدُّهَا وَأَبْلَيَا وَآتَى بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ » وسنده صحيح » أ.هـ .

فائدة :

قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد (٣٥٥/٢) : « فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما : إما سبه لله ، أو الشرك به ؛ فإنه إذا اعتقد أن الله وحده هو الذى فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله » أ.هـ .

مالك الدهر المتصرف فيه بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى : « يَبْدِي الْأَمْرَ أَقْلَبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » (٢) .

● الفرع الثاني : أسماء الله غير محصورة بعدد معين :

لقوله ﷺ في الحديث المشهور : « أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ » (٣) ، وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به .

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٤) : إن معنى هذا الحديث إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعدتها للصدقة ، فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعدتها لغير الصدقة .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٧٤٩١) ومسلم : كتاب الألفاظ من الأدب : باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦) (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) حديث صحيح : جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، الذي رواه أحمد (٣٩٤/١ ، ٤٥٢) وابن حبان (٢٣٧٢ - موارد) والحاكم (٥١٩/١) ، وصححه الحافظ ابن القيم في شفاء العليل ص (٢٧٤) ، واستفاض في بيان أهميته وفوائده في كتابه الفوائد ص (٢٤) : (٢٩) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧٢١) وكذا الألباني في الصحيحة (١٩٩) ، وشعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (١٩٨/٤) .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب الدعوات : باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠) ومسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧) (٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

● الفرع الثالث : أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع :

فهى توقيفية يتوقف اثباتها على مجاء عن الشرع فلا يُزاد فيها ولا يُنقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف فى ذلك على الشرع ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سُمى به نفسه جناية فى حقه تعالى فوجب سلوك الأدب فى ذلك .

● الفرع الرابع : كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة التى تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدداً :

ولا يتم الإيمان بالإسم إلا بإثبات ذلك كله .

* مثال ذلك فى غير المتعدى : (العظيم) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهى العظمة .

* ومثال ذلك فى المتعدى : (الرحمن) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهى الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو إنه يرحم من يشاء .

* * *

القاعدة الثالثة :

في صفات الله
وتحتها فروع أيضاً :

● الفرع الأول : صفات الله كلها عليا صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه
من الوجوه :

كالحياء والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك
لقوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾

[النحل : ٦٠]

ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته .

* وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل
والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ونزه
نفسه عما يصفونه به من النقائص ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص
للربوبية .

* وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة
عليه على سبيل الإطلاق بل لا بد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً
وتمتنع عليه في الحال التي تكون نقصاً كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات
تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة
عدوه بمثل فعله وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية
قال الله تعالى :

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾

[الأنفال : ٣٠]

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾

[الطارق : ١٥ ، ١٦]

﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾

[النساء : ١٤٢]

• إلى غير ذلك .

فإذا قيل هل يوصف الله بالمكر مثلاً ؟ فلا تقل : نعم ، ولا تقل : لا ، ولكن قل : هو ماكر بمن يستحق ذلك والله أعلم .

● الفرع الثاني : صفات الله تنقسم إلى قسمين : ثبوتية وسلبية :

* **فالثبوتية:** ما أثبتها الله لنفسه كالحياء والعلم والقدرة . ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته .

* **والسلبية:** هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم فيجب نفيا عن الله لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل لأن النفي لا يكون كاملاً حتى يتضمن ثبوتاً .

مثال ذلك : قوله تعالى :

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[الكهف : ٤٩]

فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل .

● الفرع الثالث : الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية :

* **فالذاتية:** هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر .

* **والفعلية:** هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالأستواء

على العرش والمجىء .

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء .

● الفرع الرابع : كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة :

السؤال الأول : هل هي حقيقية ولماذا ؟

السؤال الثانى : هل يجوز تكيفها ولماذا ؟

السؤال الثالث : هل تماثل صفات المخلوقين ولماذا ؟

فجواب السؤال الأول : نعم حقيقية لأن الأصل فى الكلام الحقيقة فلا يُعَدَّل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها .

وجواب الثانى : لايجوز تكيفها لقوله تعالى :

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِـ عِلْمًا﴾

[طه : ١١٠]

ولأن العقل لايمكنه إدراك كيفية صفات الله .

وجواب الثالث : لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى : ١١]

ولأن الله مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص .

والفرق بين التمثيل والتكيف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل والتكيف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل .

* مثال التمثيل : أن يقول قائل : يد الله كيد الإنسان .

* ومثال التكيف : أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل .

القاعدة الرابعة : فيما نرد به على المعطلة :

. المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول إن قولهم : خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر .

* * *

مقدمة صاحب المتن (ابن قدامة)

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسى عليه رحمة الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل زمان ، الذى لا يخلو من علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع العباد ، لا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ،

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ٦ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

[طه : ٥-٧]

أحاط بكل شيء علماً ، وفهر كل مخلوق عزة وحكماً ، ووسع كل شيء رحمة وعلماً

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ ١١٠ [طه : ١١٠]

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم .

..... الشرح

اللُّمعة : تطلق في اللغة على معان منها : البُلغة من العيش وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب . فمعنى لمعة الاعتقاد هنا : البُلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم .

والاعتقاد : الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففساد .

ما تضمنته خطبة الكتاب :

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي :

١ - البداءة بالبسملة اقتداء بكتاب الله العظيم واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ . ومعنى : بسم الله الرحمن الرحيم : أى أفعّل الشئ مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة ومعنى ﴿ الله ﴾ المألوه أى المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً و﴿ الرحمن ﴾ ذو الرحمة الواسعة و﴿ الرحيم ﴾ الموصل رحمته من شاء من خلقه فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له والثانى باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه .

٢ - الثناء على الله بالحمد والحمد ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم .

٣ - أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان أى مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة .

٤ - سعة علم الله بكونه لا يخلو من علمه مكان وكال قدرته واحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر .

٥ - عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه .

٦ - تنزهه وتقديسه عن كل زوجة وولد وذلك لكمال غناه .

٧ - تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه فى جميع العباد فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال .

٨ - عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة ؛ لأن الله :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

- ٩ - اختصاص الله بالأسماء الحسنی والصفات العلی .
- ١٠ - استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به .
- ١١ - عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .
- ١٢ - سعة علمه وقوة قهره وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة .

* * *

التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ لآيَاتِ وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ

[٢] وكل ما جاء في القرآن ، أو صحَّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجنب الإيمان به وتلقيه بالتَّسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرَّد والتَّأويل والتَّشبيه والتَّمثيل ، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً^(٥) وترك التعرض لمعناه ، ونردُّ علمه إلى قائله ، ونجعل عهده على ناقله ، اتباعاً لطريق الرَّاسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى :

(٥) تعقيب :

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قول صاحب اللمعة : « وجب الإيمان به لفظاً » وأما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لُوِحِظَ في هذه العقيدة ، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف ؛ إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى ، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته . وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر ، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث لم يستشكلوا شيئاً من معاني هذه الآيات والأحاديث لأنها واضحة صريحة ، وكذلك مَنْ بعدهم من القرون الفاضلة ، كما يروى عن مالك لما سئل عن قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ، وكذلك يروى معنى ذلك عن ربيعة شيخ مالك ، ويروى عن أم سلمة مرفوعاً وموقوفاً .

أما كُنْه الصفة وكيفيتها : فلا يعلمه إلا الله سبحانه ؛ إذ الكلام في الصفة فرع عن الكلام في الموصوف ، فكما لا يعلم كيف هو إلا هو فكذلك صفاته وهو معنى قول مالك : « والكيف مجهول » .

أما ما ذكره في « اللمعة » فإنه ينطبق على مذهب المفوضة ، وهو من شر المذاهب وأخبثها ، والمصنف رحمه الله إمام في السنة ، وهو أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم « أ.هـ عن مكتب الإفتاء (٣٢٨) في ١٣٨٥/٧/٢٨ هـ نقلاً عن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم جمع وترتيب محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم .

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

[آل عمران : ٧]

وقال في ذم مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ ؕ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٧]

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيف ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ،
ثم حجبه عما أُمِّلوه ، وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٧]

..... الشرح

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها :

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين : واضح جلي
ومشكل خفي ؛ فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظاً واثبات معناه
حقاً بلا رد ولا تأويل ، ولا تشبيه ولا تمثيل لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به
وتلقيه بالقبول والتسليم .

= قلت : ومن رجع إلى مصنفات ابن قدامة رحمه الله علم يقيناً أنه بعيد كل البعد عن مذهب
المفوضة وأهل التأويل لاسيما كتابه (ذم التأويل) الذي رد فيه على أهل التأويل ومن هذا
حدوهم من المفوضة وأثبت فيه مذهب أهل السنة من الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء
الله وصفاته لفظاً ومعنى .

فما ورد عن ابن قدامة هنا بقوله « وجب الإيمان به لفظاً » من المحمل المتشابه الذي فُسِّرَ
صريحاً واضحاً بيناً في مصنفاته الأخرى فيجب الرد إلى المحكم من كلامه عليه رحمه الله . فكل
ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى المحكم من كلامه في سائر تصانيفه والله أعلى
وأعلم .

وأما المشكل فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالة أو قصر في فهم قارئه فيجب - اثبات لفظه لورود الشرع به والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه ففرد علمه إلى الله ورسوله .

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين :

الطريقة الأولى : طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والاحاطة به تعظيماً لله ورسوله وتأديباً مع النصوص الشرعية وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله :

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧]

الطريقة الثانية : طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصدأً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريد الله ورسوله ، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٧]

تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال :

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي يختلف به الناس بحسب العلم والفهم فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان وأنه أنزله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ؛ وهذا يقتضى أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه .

معنى الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وحكم كل منها :

الرد : التكذيب والإنكار مثل أن يقول قائل : ليس لله يداً لا حقيقة ولا مجازاً وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله .

والتأويل : التفسير والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرهما به الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفو عنه ؛ لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[البقرة : ٢٨٦]

الثاني : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً .

القسم الثالث : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له .

والتشبيه : إثبات مشابهة لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالخلق الناقص .

والتمثيل : إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى : ١١]

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالخلق الناقص .
والفرق بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يقتضى المساواة من كل وجه بخلاف

التشبيه .

* * *

كَلَامُ أئِمَّةِ السَّلَفِ فِي الصِّفَاتِ

[٣] قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي ﷺ : « إِنْ أَلَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا » و« إِنْ أَلَّهَ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ » وما أشبه هذه الأحاديث^(٦) : نؤمن بها ، ونصدق بها ، لا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى : ١١]

ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنت ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن^(٧) .

(٦) يأتي تخرج هذه الأحاديث ص (٥٨ ، ٨٦) .

(٧) راجع : الصواعق المنزلة لابن القيم (٢٦٥/١) ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي (٢٥١/٢) ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص (١٥٦) وترجمه الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للذهبي ص (٢٧) .

• قال الشيخ محمد صالح العثيمين في فتح رب البرية في تلخيص الحموية ص (٦٣) : « المعنى الذى نفاه الإمام أحمد فى كلامه هو المعنى الذى ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم وصرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معانى تخالفه ، ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين : طائفة المعطلة ، وطائفة المشبهة » أ.هـ .

..... الشرح

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث التزول وشبهها :

تضمن كلام الإمام أحمد — رحمه الله — الذى نقله عنه المؤلف ما يأتى :

- ١ - وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية .
- ٢ - إنه لا كيف ولا معنى أى : لا نكيف هذه الصفات لأن تكييفها ممتنع لما سبق وليس مراده أن لا كيفية لصفاته لأن صفاته ثابتة حقاً وكل شيء ثابت فلا بد له من كيفية لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا .

وقوله : (ولا معنى) أى لاثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفى المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذى فسرنا به السلف فإن هذا ثابت ويدل على هذا قوله ولا نرد شيئاً منها ونصفه بما وصف به نفسه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنت ولا نعلم كيف كنه ذلك فإن نفى لرد شيء منها ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها .

- ٣ - وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه وهو ما اتضح معناه ومتشابهه وهو ما أشكل معناه فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً وتفويض معناه إلى الله تعالى .

* * *

[٤] قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه :
« آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ ، عَلَى مُرَادِ اللَّهِ ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ »^(٨) .

(٨) راجع : الرسالة المدنية لابن تيمية ص (١٢١) مع الفتوى الحموية .

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أما ما قال الشافعى فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده . ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه ، فإنه سلك سبيل السلامة فى الدنيا والآخرة »
أ.هـ .

..... الشرح

ما تضمنه كلام الإمام الشافعي :

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي :

١ - الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

٢ - الإيمان بما جاء به عن رسول الله ﷺ في سنة رسول الله ﷺ على ما أراده رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا .

* * *

[٥] وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله .

= قلت ومن أقوال الشافعي الهامة في باب الأسماء والصفات قوله : « الله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها ، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدوم بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا بالروية والفكر ، ويثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى عن نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] راجع مختصر العلو للألباني ص (١٧٧) واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص (٥٩) .

..... الشرح

طريق السلف الذى درجوا عليه فى الصفات :

الذى درج عليه السلف فى الصفات هو الاقرار والإثبات لما ورد من صفات
الله تعالى فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد
الله ورسوله .

* * *

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

[٦] وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم والإعتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ: « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

..... الشرح

والإقتداء بهم في ذلك واجب لقوله ﷺ: « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » رواه أحمد وأبوداود والترمذي وقال: « حسن صحيح » وصححه الألباني وجماعة^(٩).

(٩) حديث صحيح : أخرجه أحمد في المسند (١٢٦/٤ ، ١٢٧) .

وأبوداود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) .

والترمذي : كتاب العلم : باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٢٦٧٦) .

وابن ماجة : في المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢ ، ٤٣) والدرامي (٤٤/١) وابن حبان (١٠٢-موارد) والحاكم (٩٧/١) وابن أبي عاصم في السنة (ص ١٧ : ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٠) البيهقي في دلائل النبوة (٥٤١/٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٢٢/١ : ٢٢٤) من حديث عرباض بن سارية أبي نجيح رضي الله عنه . وقد صححه غير واحد من أهل العلم : فقال الترمذي : « حسن صحيح » وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، ونقل ابن عبد البر عن أبي بكر أحمد بن عمرو البزار قوله : « حديث عرباض في الخلفاء الراشدين صحيح ثابت » ثم قال : وهو كما قال . وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع (٣٠٩/٢٠) مجموع الفتاوى وفي اقتضاء الصراط المستقيم (٥٧٩/٢) .

أما تصحيح الألباني الذي أشار إليه الشيخ فقي صحيح الجامع الصغير (٣٤٦/٢) وفي تخریج السنة لابن أبي عاصم ص (١٧ : ٢٠) ، ص (٢٩ ، ٣٠) .

السنة والبدعة وحكم كل منهما :

السنة لغة : الطريقة . واصطلاحاً : ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل . واتباع السنة واجب لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ ﴾

[الأحزاب : ٢١]

وقوله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِي
عِزُّوا عَلَيْهَا بَالْتَوَاجِدْ » .

والبدعة لغة : الشيء المستحدث . واصطلاحاً : ما أُخْدِثَ في الدين على
خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل .

وهي حرام لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[النساء : ١١٥]

وقوله ﷺ : « وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُور فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ » .

* * *

= ★ فائدة :

• قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (٣٦٥) في شرحه لهذا الحديث في
الكلام على محدثات الأمور وتعديدها : « وأصعب من ذلك ما أحدث من الكلام في ذات الله
وصفاته مما سكت عنه النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان . فقوم نفوا كثيراً مما ورد في
الكتاب والسنة من ذلك وزعموا أنهم فعلوه تنزيهاً لله عما تقتضي العقول تنزيهه عنه ، وزعموا أن
لازم ذلك مستحيل على الله عز وجل . وقوم لم يكتفوا بإثباته حتى أثبتوا ما يظن أنه لازم له
بالنسبة إلى المخلوقين ، وهذه اللوازم نفيًا وإثباتًا درج صدر الأمة على السكوت عنها » أ.هـ .

[٧] وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ،
فَقَدْ كُفَيْتُمْ » (١٠) .

[٨] وقال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه كلاماً معناه : « قِفْ
حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وَبِصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا وَهُمْ عَلَى
كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى ، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى ، فَلَيْتَ قُلْتُمْ : حَدَّثَ
بَعْدَهُمْ ، فَمَا أَخَذْتُهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ ، وَلَقَدْ
وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي ، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ ،

(١٠) أثر صحيح : وقد رواه عن ابن مسعود غير واحد من التابعين منهم :

١ - أبو عبدالرحمن السلمى :

أخرجه الدارمى (٢١١) والطبرانى فى الكبير (٨٨٧٠) والبيهقى فى المدخل (٢٠٤) وابن
وضاح فى البدع والنهى عنها ص (١٠) كلهم من طريق الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عنه
وقال الهيثمى فى المجمع (١٨١/١) : « ورجاله رجال الصحيح » .

قلت : لكن الإسناد فيه عنعنة الأعمش وعنعنة حبيب بن أبى ثابت وكلاهما مدلس .

٢ - إبراهيم النخعى :

أخرجه أبو خيثمة فى العلم (٥٤) من طريق العلاء عن حماد عنه وصحح إسناده الألبانى
حيث قال : « وهذا إسناد صحيح ، فإبراهيم وإن كان لم يدرك عبدالله وهو ابن مسعود فقد صح
عنه أنه قال : إذا حدثتكم عن رجل عن عبدالله فهو الذى سمعت ، وإذا قلت : قال عبدالله فهو
غير واحد عن عبدالله » .

٣ - قتاده :

أخرجه ابن وضاح فى البدع والنهى عنها ص (١١) من طريق أبى هلال عنه وأبو هلال هذا
هو محمد بن سليم صدوق وفيه لين أخرجه له البخارى فى التعاليق .

وبالجملة فأثر ابن مسعود بهذه الطرق صحيح بلا ريب والله أعلم .

وَمَا دُونَهُمْ مُقَصَّرٌ ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفُوا ، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ
فَعَلُوا ، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ « (١١) .

[٩] وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضى الله عنه : « عَلَيْكَ بِآثَارِ
مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءِ الرُّجَالِ ، وَإِنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ
بِالْقَوْلِ » (١٢) .

(١١) الأثر أورده ابن قدامة في كتابه البرهان في بيان القرآن ص (٨٨ ، ٨٩) من قول
عبد العزيز بن أبي الماجشون ثم قال : « وروى معناه عن عمر بن عبدالعزيز » .

وقد أورده الحافظ ابن الجوزي في مناقب عمر بن عبدالعزيز ص (٨٣ ، ٨٤) ، وأورد
الحافظ ابن رجب طرفاً منه مع اختلاف يسير في رسالته فضل علم السلف ص (٣٦) وهي
قوله : « إن السابقين عن علم وقفوا ، وببصر ناقد كفوا ، وكانوا هم أقوى على البحث
لو بحثوا » . أهـ يشير بهذا إلى أن سكوتهم كان عن علم وخشية وليس سكوت عجز وعي ، وأن
توسع من توسع بعدهم لا يدل على أنهم أعلم منهم . وراجع في هذا المعنى فضل علم السلف
ص (٣٦ : ٤١) .

• كفوا : امتنعوا . بالفضل : بالزيادة . محسر : من الحسر وهو التعب والإعياء .
جفوا : من الجفاء وهو التباعد . غلوا : الغلو هو تجاوز الحد .

(١٢) أثر صحيح : أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص (٧) والآجري في
الشرعة ص (٥٨) وعنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤/٢) من طريق العباس بن
الوليد بن مزيد البيروقي قال : « أخبرني أبي قال : سمعت الأوزاعي يقول : فذكره .

وهذا إسناد صحيح . وأما قول الحافظ في التقریب (٣٩٩/١) عن العباس بن الوليد أنه
صدوق فمتعقب ، فقد وثقه ابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وغيرهم كما في التهذيب
(١١٥/٥ ، ١١٦) والجرح والتعديل (٢١٦/٢) وطبقات الحنابلة (٢٣٥/١) .

والأثر أورده الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢٠/٧) وفي العلو للعلی الغفار
وصحح الألباني إسناده في مختصره للعلو ص (١٣٨) .

..... الشرح

الآثار الواردة في الترغيب بالسنة والتحذير من البدعة :

١ - من أقوال الصحابة : قال ابن مسعود رضى الله عنه الصحابى الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة :

(اتبعوا) أى التزموا آثار النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص (ولا تبتدعوا) لا تحدثوا بدعة فى الدين .

(فقد كفيتم) أى كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبه ﷺ وأنزل قوله :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

[المائدة : ٣]

فلا يحتاج الدين إلى تكميل .

٢ - من أقوال التابعين : قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز المولود سنة ٦٣ المتوفى سنة ١٠١هـ قولاً يتضمن ماأتى :

أ - وجوب الوقوف حيث وَقَفَ القوم - يعنى بهم - النبي ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أخرى .

ب- إنَّ ما أُخِذَ بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم والزهد فى سنتهم وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفى وتكلموا فيه بما يكفى .

ج- إن من الناس من قصر فى اتباعهم فكان جافياً ومن الناس من تجاوزهم فكان غالياً والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير .

٣ - من أقوال تابعي التابعين : قال الأوزاعي عبدالرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ (عليك بآثار من سلف) : ازم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة .

(وإن رفضك الناس) أبعدوك واجتنبك .

(وإياك وآراء الرجال) أحذر آراء الرجال وهى ما قيل بمجرد الرأى من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(وإن زخرفوه) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته

وتحسينه .

[١٠] وقال محمد بن عبدالرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها : هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو لم يعلموها ؟ قال : لم يعلموها . قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت !!؟ قال الرجل : فإني أقول : قد علموها . قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ، ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ قال : بلى وسعهم . قال : فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه ، لا يسعك أنت !!؟ فانقطع الرجل . فقال الخليفة — وكان حاضراً — : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم .

[١١] وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، والأئمة من بعدهم والرّاسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه .

..... الشرح

مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة :

لم أطلع على ترجمة للأدرمي^(١٣) ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم

(١٣) القصة أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٧٥/١٠) ومن طريقه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص (٤٣١ : ٤٣٦) ومن طريقه ابن قدامة في التوايين ص (١٩٤) وأخرجها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣١٣/١١) والآجري في الشريعة ص (٩١ : ٩٥) وأوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٣٣٥/١٠) .

وقد رويت القصة من طريقين أحدهما مطول والآخر مختصر وقال الحافظ الذهبي بعد ذكر الطريقة المختصرة للقصة : « هذه قصة مليحة وإن كان في طريقها من يجهل ولها شاهد » ثم ذكر لها الطريق المطول .

ويظهر من كلام الشيخ العثيمين حفظه الله أن في هذه القصة مبهات أربعة الأدرمي ، والمناظر له ، والخليفة الذي حضر المناظرة ، والبدعة التي جرت المناظرة بسببها ومن خلال التعرف على شخصية المناظر تبين لنا بقية المبهات .

= الأول : الأذرمي : والذي نستطيع تأكيده أنه مُصَنَّف من الأذرمي واسمه أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي روى عن وكيع وابن عيينة وابن مهدي وغيرهم وروى عنه أبو داود والنسائي ووثقه أبو حاتم والنسائي ترجمته في التهذيب (٤/٦ ، ٥) والأنساب للسمعاني (٦٢/١) . وهو صاحب القصة المذكورة كما جاء في المصادر التي وردت بها القصة وكما رجَّح غير واحد من أهل العلم فروى الخطيب في تاريخه (٧٧/١٠ ، ٧٨) وابن الجوزي في المناقب ص (٤٣٦) أن الحافظ أبابكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي حدث بهذه المناظرة ثم قال : « الشيخ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي » أ.هـ .

وقال الخطيب في تاريخه (٧٥/١٠) : « وكان هارون الوائلي بالله شخصاً شيخاً من أهل أذنه للمحنة وناظر ابن أبي دؤاد بحضرته واستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه الوائلي وردّه إلى وطنه ، ويقال : إنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمي » أ.هـ .

وقال الحافظ في التهذيب (٥/٦) بعد أن ذكر كلام الخطيب : قلت : القصة مشهورة حكاهما المسعودي وغيره ، ورواها السياري في الألقاب بإسناد له قال فيه : إن الشيخ المناظر هو الأذرمي هذا » أ.هـ .

وقال السمعي في الأنساب (٦٢/١) في مادة : الأذرمي : بعد الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الراء ، وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى آذرم ، وظنى أنها من قرى أذنة بلدة من الثغر منها أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي ثم ترجم له وذكر مثل كلام الخطيب .

الثاني : المناظر له وهو أحمد بن أبي داود : القاضي الكبير أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري البغدادي الجهمي عدو أحمد بن حنبل . كان داعية إلى خلق القرآن كانت له منزلة ومشورة عند الخليفة المأمون والمعتصم والوائلي وكان إلماً على الإمام أحمد يوم المحنة يقول يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل راجع ترجمته في : وفيات الأعيان (٨١/١) وسير أعلام النبلاء (١٦٩/١١) والبداية والنهاية (٣١٩/١٠) وشذرات الذهب (٩٣/٢) .

الثالث : الخليفة الذي حضر المناظرة هو الوائلي بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسي أبو جعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ فامتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة ، والظاهر أنه تاب عن ذلك في آخر عمره كما جاء في سياق روايات القصة التي نحن بصدد الكلام عليها ففي آخرها قال المهدي بالله ابن الخليفة الوائلي بالله : « فرجعت عن هذه المقالة ، وأظن أن الوائلي رجع عنها منذ ذلك الوقت » أ.هـ .

وقد عنون الحافظ ابن قدامة في التوايين ص (١٩٤) لهذه القصة بقوله (توبة الوائلي بالله وابنه المهدي بالله) . وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص (٤٣١) : « وقد روى

وقد بنى الأدرمى — رحمه الله — مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التى تليها حتى يفهم خصمه .

المرحلة الأولى : العلم فقد سأله الأدرمى هل علم هذه البدعة النبى ﷺ وخلفاؤه ؟ قال البدعى : لم يعلموها وهذا النفى يتضمن انتقاص النبى ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين ومع ذلك فهو حجة على البدعى إذا كانوا لا يعلمونه ولذلك انتقل به الأدرمى إلى .

المرحلة الثانية : إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت ؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شئ من الشريعة ويفتحه لك ؟ فتراجع البدعى وقال أقول قد علموها فانتقل به إلى :

المرحلة الثالثة : إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أى أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ فأجاب البدعى بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام فقال له الأدرمى : فشئ وسع رسول الله ﷺ وخلفاؤه لا يسعك أنت فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه .

فصوب الخليفة رأى الأدرمى ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبى ﷺ وخلفاؤه .

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلا بد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب .

* * *

أن الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرة جرت بين يديه رأى بها أن الأولى ترك الإمتحان ، ثم ساق القصة بطولها .

الرابع : البدعة التى جرت المناظرة بسببها : هى بدعة القول بخلق القرآن تلك الفتنة الكبرى التى امتحن بسببها أئمة أعلام على رأسهم الإمام الربانى والصديق الثانى أحمد بن حنبل رحمه الله .

وراجع مقدمة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط فى تعليقه على لمعة الاعتقاد حيث نبه على هذا التصويب أيضاً بإشارة لطيفة .

ذِكْرُ بَعْضِ آيَاتِ الصِّفَاتِ

[١٢] فما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل :

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾

[الرحمن : ٢٧]

..... الشرح

الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى :

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وستكلم عليها حسب ترتيب المؤلف .

الصفة الأولى : الوجه :

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرحمن : ٢٧]

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تُبْتَغَى بِهَا وَجْهُ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا » . متفق عليه (١٤) .

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقى يليق بالله .

(١٤) البخارى : كتاب الجنائز : باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥) .

ومسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث (١٦٢٨) (٥) .

من حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه .

وقد فسّره أهل التعطيل بالثواب وَتُرْدُ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

[المائدة : ٦٤]

..... الشرح

الصفة الثانية : اليدان :

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

[المائدة : ٦٤]

وقال النبي ﷺ : « يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » إلى قوله : « بِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ » رواه مسلم والبخاري معناه .^(١٥)

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله فيجب اثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهما يدان حقيقتان لله تعالى يليقان به .

(١٥) مسلم : كتاب الزكاة : باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٩٩٣) (٣٧) .

وأما رواية البخاري فعنده في كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (٧٤١١) بلفظ « يد الله ملأت لا يغيضها نفقه » .
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

لا يغيضها : بالغين المعجمة والضاد المعجمة الساقطة : أى لا ينقصها .

سحاء : بمهملتين مثقلاً ممدود : أى دائمة الصب فتح الباري (٣٩٥/١٣) . =

وقد فسّرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع : أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى :

﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾

[ص : ٧٥]

وقوله ﷺ : « وَيَدِهِ الْاُخْرَى الْقَبْضُ » .

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها :

الأول : الإفراد كقوله تعالى :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾

[الملك : ١]

الثاني : التثنية كقوله تعالى :

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

[المائدة : ٦٤]

الثالث : الجمع كقوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾

[يس : ٧١]

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ماثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً .

* * *

= ★ فائدة :

قال الحافظ في الفتح (٣٩٥/١٣) في الكلام على لفظ مسلم وروايته وأنها وقع فيها بدل يد الله « يمين الله » قال : « ويتعقب بها على من فسر اليد هنا بالنعمة وأبعد منه من فسرها بالخزائن وقال أطلق اليد على الخزائن لتصرفها فيها » أ.هـ

قلت : وفي هذا دلالة على رد الحافظ على المؤولة !!

● وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال :

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾

[المائدة : ١١٦]

..... الشرح

الصفة الثالثة : النفس :

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة واجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾

[الأنعام : ٥٤]

وقال عن عيسى إنه قال :

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾

[المائدة : ١١٦]

وقال النبي ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » رواه مسلم^(١٦) ، وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به فيجب اثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

* * *

● وقوله سبحانه :

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾

[الفجر : ٢٢]

وقوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾

[البقرة : ٢١٠]

(١٦) مسلم : كتاب الذكر والدعاء .. : باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٧٢٦)

(٧٩) من حديث جويرية رضى الله عنها .

..... الشرح

الصفة الرابعة : المجيء :

مجىء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾

[الفجر : ٢٢]

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾

[البقرة : ٢١٠]

وقال النبي ﷺ : « حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ » متفق عليه . (١٧) في حديث طويل واجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقى يليق بالله تعالى .

وقد فسره أهل التعطيل بمجىء أمره ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

[المائدة : ١١٩]

(١٧) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿وَجُودَ يُؤْمِنُ نَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾ (٧٤٣٩) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) (٣٠٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

..... الشرح

الصفة الخامسة : الرُّضَى :

الرُّضَا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

[المائدة : ١١٩]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمِدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمِدَهُ عَلَيْهَا » . رواه مسلم . (١٨) .

وأجمع السلف على إثبات الرُّضَى لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وهو رضا حقيقى يليق بالله تعالى .

وقد فسرهُ أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[المائدة : ٥٤]

(١٨) مسلم : كتاب الذكر والدعاء .. : باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤) (٧٩) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

• الأكلة : الأكلة هنا بفتح الهمزة وهى المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء .

..... الشرح

الصفة السادسة : المحبة :

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

[المائدة : ٥٤]

وقال النبي ﷺ يوم خيبر : « لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » . متفق عليه (١٩) .

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يُحِبُّ وَيُحِبُّ فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى .

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى في الكفار :

﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾

[الفتح : ٦]

(١٩) البخارى : كتاب المغازى : باب غزوة خيبر (٤٢١٠) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل على .. (٢٤٠٦) (٣٤) .

من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه .

* والرجل المقصود في الحديث : هو على بن أبى طالب رضى الله عنه كما وضحت الرواية .

..... الشرح

الصفة السابعة : الغضب :

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً :

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾

[النساء : ٩٣]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تُغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه . (٢٠)

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو غضب حقيقى يليق بالله .

وفسره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع أن الله تعالى غَايَر بين الغضب والانتقام فقال تعالى :

﴿فَلَمَّا أَصَفُونَا﴾

[الزخرف : ٥٥]

أى اغضبونا -

﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾

[الزخرف : ٥٥]

فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره .

● وقوله تعالى :

﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾

[محمد : ٢٨]

(٢٠) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ

مَحْفُوظٍ﴾ (٧٥٥٤)

ومسلم : كتاب التوبة : باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥١) (١٤)

من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

..... الشرح

الصفة الثامنة : السُّخْط :

السُّخْط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ ﴾

[محمد : ٢٨]

وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ... » الحديث رواه مسلم . (٢١)

وأجمع السلف على ثبوت السُّخْط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو سخط حقيقي يليق بالله .
وفسره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾

[التوبة : ٤٦]

..... الشرح

الصفة التاسعة : الكراهة :

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾

[التوبة : ٤٦]

(٢١) مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦) (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » رواه البخارى (٢٢) .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهى كراهة حقيقية من الله تليق به .

وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

* * *

(٢٢) البخارى : كتاب الأدب : باب عقوق الوالدين من الكبائر (٥٩٧٥) .

ومسلم : كتاب الأقضية : باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة ... (٥٩٣) (١٣) واللفظ له . من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه .

ذِكْرُ بَعْضِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ

[١٣] ومن السنة قول النبي ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا » (١).

..... الشرح

الصفة العاشرة : النزول :

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف .
قال النبي ﷺ « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَنْقُضُ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبُ لَهُ ... » الحديث متفق عليه . (٢٣) .

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو نزول حقيقى يليق بالله .

وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول من يدعونى فاستجيب له .. الخ .

● وقوله : « يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ »

(١) زاد ابن القيم في اجتماع الجيوش ص (١٩١) : « وقوله ﷺ : الله أفرح بتوبه عبده »

(٢٣) البخارى : كتاب التهجد : باب الدعاء والصلاة في آخر الليل (١١٤٥) .

ومسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) (١٦٨) . من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) .

وراجع لشرح هذا الحديث والكلام عليه باستفاضة « شرح حديث النزول » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

..... الشرح

الصفة الحادية عشرة : العجب :

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾

[الصفات : ١٢]

على قراءة ضم التاء (*) .

وقال النبي ﷺ : « يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ » رواه أحمد وهو في المسند ص ١٥١ ج ٤ عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة . (٢٤)
وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو عجب حقيقى يليق بالله .

(*) يشير الشيخ حفظه الله إلى قراءة حمزة والكسائي وخلف بضم التاء . راجع : المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني ص (٣٧٥) ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص (٥٤٧) .
(٢٤) حديث ضعيف : أخرجه أحمد (١٥١/٤) وابن أبي عاصم في اسنة (٥٧١) وأبو يعلى (١٤٧٩) والطبراني في الكبير (٣٠٩/١٧) والقضاعي في مسند الشهاب (٥٧٦) وتمام الرازي في فوائده (١٢٨٧) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٦٠٠) ونقل الحافظ السخاوى في المقاصد الحسنة ص (١٢٣) تضعيف الحافظ ابن حجر العسقلاني له في فتاويه من أجل عبد الله بن لهيعة وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٤٢٦) وقال السخاوى : « رويناه في جزء أبى حاتم الحضرمي من حديث الأعمش عن إبراهيم قال : كان يعجبهم أن لا يكون للشباب صبوة »
• الصبوة : الميل إلى الهوى .

ويغنى عن هذا الحديث في إثبات صفة العجب ما رواه البخارى (٤٨٨٩) من حديث أبى هريرة في حديث الضيف : « لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

والعجب نوعان : إحداهما أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه وهذا النوع مستحيل على الله لأن الله لا يخفى عليه شيء .

الثاني : أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغى أن يكون عليه مع علم المتعجب وهذا هو الثابت لله تعالى .

* * *

● وقوله : « يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ » .

..... الشرح

الصفة الثانية عشرة : الضحك :

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف .

قال النبي ﷺ : « يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ » . وتمام الحديث : « يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيَسْتَشْهَدُ » . متفق عليه (٢٥) .

(٢٥) البخارى : كتاب الجهاد : باب الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل (٢٨٢٦)

ومسلم : كتاب الإمارة : باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (١٨٩٠) (١٢٨) من حديث أوى هريرة رضى الله عنه .

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وهو ضحك حقيقى يليق بالله تعالى .

وفسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

[١٤] فهذا وما أشبهه ممَّا صَحَّ سنده. وَعُدَّت رواته ، نؤمن به ولا نرده ، ولا نجحده ، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ، ولا بسلمات المُحدِّثين(*) ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١]

وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال ، فإن الله تعالى بخلافه .

[١٥] ومن ذلك قوله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

[طه : ٥]

..... الشرح

الصفة الثالثة عشرة : الاستواء على العرش :

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

[طه : ٥]

وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن .

(*) زاد في إجماع الجيوش ص (١٩١): « بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه قراءته تفسيره » .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » . رواه البخارى (٢٦) .

وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود فى سننه : « إِنَّ بَعْدَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ إِمَّا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً إِلَى أَنْ قَالَ فِي الْعَرْشِ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ » . وأخرجه أيضاً الترمذى وابن ماجه وفيه علة أجاب عنها ابن القيم - رحمه الله - فى تهذيب سنن أبى داود (٢٧) . ص (٩٢ ، ٩٣) ج (٧) وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو استواء حقيقى معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى .

(٢٦) تقدم تخريجه ص (٥٥) .

(٢٧) حديث ضعيف : أخرجه أحمد (٢٠٦/١ ، ٢٠٧) وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذى (٣٣٢٠) وحسنه ، وابن ماجه (١٩٣) والحاكم فى المستدرک (٥٠٠/٢ ، ٥٠١) ، وعثمان الدارمى فى الرد على الجهمية ص (٢٤) وفى النقض على المرىسى ص (٩٠ ، ٩١) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٧٧) وابن خزيمة فى التوحيد (١٤٤) والآجرى فى الشريعة ص (٢٩٢ ، ٢٩٣) ومحمد بن عثمان بن أبى شيبه فى العرش (٩ ، ١٠) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٥٠٤) واللالكائى فى أصول اعتقاد أهل السنة (٦٥١) والعقلى فى الضعفاء (٢٨٤/٢) وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢٥/٢) والواحيات (٩/١ ، ١٠) وأبونعيم فى أخبار أصبهان (٢/٢) وأبو الشيخ فى العظمة (٢٠٤) وابن قدامة فى العلو (٢٩) والذهبى فى العلو للعلی الغفار (ص ٤٩ ، ٥٠) وابن عبد البر فى التمهيد (١٠٤/٧) وابن حزم فى الملل والنحل (١٠٠/٢ ، ١٠١) والمزى فى تهذيب الكمال (٧١٩/٢) وغيرهم من طرق عن سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب فذكره . وسنده ضعيف فيه أكثر من علة :

الأولى : تفرد سماك بروايته . وإذا نظرنا إلى حديث سماك حال الإنفراد وجدناه لا يحتج به إذا انفرد . ففى التهذيب (٢٣٤/٤) : « قال النسائى : كان ربما لقن فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلحن فيتلقن » .أ.هـ وهذا جرح بين واضح من إمام ناقد وقد انفرد سماك فى حديثه بذكر صفة حملة العرش .

الثانية : جهالة عبدالله بن عميرة . وقد أعل الحافظ الذهبى حديثه هذا فى العلو بجهلته . وفى الميزان له قال : « فيه جهالة » .أ.هـ وقد قال الإمام البخارى : « لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس » كذا فى التاريخ الكبير .

وقد فسّره أهل التعطيل بالاستيلاء ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ونزيد وجهاً رابعاً أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى ووجهاً خامساً أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد .

والعرش لغة : السرير الخاص بالملك وفي الشرع العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد .

= الثالثة: نكارة المتن: فقد أشار أئمتنا المكرم عبد الله بن يوسف في تعليقه على «فتا وجوابها» لابن العطار ص (٧٢) : أن في سياق المتن نكارة من وجهين :

١ - تشبيه الملائكة بالتيوس ، فإن الأوعال جمع وعل ، وهو تيس الجبال ، وإن كان هذا اللفظ يستعار للأشراف من الناس ، فإنه هاهنا على الأصل بقرينة ذكر الأظلاف فإنها من خواص مايجتر من الحيوان .

٢ - أكثر الأصول تذكر الأظلاف والركب مؤنثة وهو معنى منكر في حق الملائكة وقد أنكره الله على المشركين « أ.هـ .

وقد ضعف الحديث وأشار إلى ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم ابن عدى في الكامل في ترجمة يحيى بن العلاء فقال : « إنه غير محفوظ » ورده ابن العرى في شرحه للترمذى بقوله : « أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها أصل الصحة » .

وكذا ضعفه الألبانى في تخريجه للسنة لابن أبى عاصم (٥٧٧) والأرناؤوط في تعليقه على الطحاوية (٣٦٥/٢) .

وما جاء من تقوية الحافظ ابن القيم له في تهذيب السنن كما أشار الشيخ العثيمين فلا عتقاده أن العلة التي في الحديث هي تفرد الوليد بن أبى ثور عن سماك بالرواية مع ضعفه وأن هذه العلة مدفوعة برواية غيره من الثقات عن سماك مثل ابراهيم بن طهمان وغيره .

والحق كما رأيت أن الأشكال والعلة ليس في الطرق الموصلة لسماك فقد رواه عن سماك غير واحد مما هو مذكور في طرقة ، وإنما الإشكال والعلة في سماك نفسه ومن فوقه .

وقد أشار ابن القيم إلى علة أخرى وهي مخالفة هذا الحديث لحديث آخر رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ورد هذه العلة بقوله : « أن الترمذى ضعف هذا الحديث عن أبى هريرة » وراجع تهذيب السنن (٩٢/٧ ، ٩٣) .

والخلاصة : أن الحديث ضعيف وأن أدلة الفوقية والإستواء مقررة بأدلة أخرى كثيرة في الكتاب والسنة الصحيحة والله أعلم .

والكرسى غير العرش لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى ، والكرسى موضع قدميه لقول ابن عباس رضى الله عنهما : « الكرسى موضع القدمين والعرش لَا يُقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ » رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . (٢٨)

* * *

● وقوله تعالى :

﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾

[الملك : ١٦]

(٢٨) صحيح موقوفاً : أخرجه محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب العرش (٦١) وعبدالله بن أحمد فى السنة (٤٠٧) والدارمى فى الرد على المرسى ص(٧١ : ٧٤) وابن خزيمة فى التوحيد ص(١٠٧ ، ١٠٨) والطبرى فى التفسير (٥٧٩٢) والطبرانى فى الكبير (١٢٢٠٤) والدارقطنى فى كتاب الصفات (٣٦ ، ٣٧) والحاكم فى المستدرک (٢٨٢/٢) من طريق سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن حبير عن ابن عباس موقوفاً عليه .

وإسناده حسن : فعمار الدهنى أبو معاوية البجلي صدوق روى له أصحاب الكتب الستة إلا البخارى كما فى التقريب ص (٤٠٨) . ومع ذلك فقد قال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبى !!

وقال الهيثمى فى المجمع (٣٢٣/٦) : « رجاله رجال الصحيح » أ.هـ .

وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ولا يصح وراجع لذلك التهذيب (٣١٣/٤) وتفسير ابن كثير (٣٠٩/١) والعلل لابن الجوزى وشرح الطحاوية لابن أبى العز (٣٦٩/٢) والميزان (١٦٥/٢) . وفى الباب : عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : « الكرسى موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرجل » أخرجه محمد بن عثمان أبى شيبة فى كتاب العرش (٦٠)

وعبدالله بن أحمد فى السنة وابن جرير فى تفسيره (٧/٣) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص(٥١٠) وأبو الشيخ فى العظمة (٤٢/٢) والذهبى فى العلو (١٢٤ - مختصر)

وإسناده صحيح موقوف كما قال الألبانى فى مختصره للعلو .

• وراجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى الرسالة العرشية على هذا الأثر وكذا مقاله الشيخ العثيمين فى تفسير آية الكرسى ص(٢٤ : ٢٦) .

وقول النبي ﷺ : رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ « وقال للجارية : « أَيْنَ اللَّهِ؟ » قالت : في السماء . قال : « اغْتَبِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » . رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة .

[١٦] وقال النبي ﷺ لحصين : « كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ ؟ » قال : سبعة : ستة في الأرض ، وواحداً في السماء . قال : « مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ » قال : الذي في السماء . قال : « فَاتْرِكِ السَّيِّئَةَ وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ » . فأسلم ، وعلمه النبي ﷺ أن يقول : « اللَّهُمَّ الْهِمْنِي رُشْدِي ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي » .

[١٧] وفيما نُقِلَ من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة : « أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهُهُمْ فِي السَّمَاءِ » .

[١٨] وروى أبوداود في سننه أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ كَذًا وَكَذَا ... » وذكر الخبر إلى قوله : « وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ » .

[١٩] فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ، ولم يتعرضوا لرده ، ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله .
..... الشرح

الصفة الرابعة عشرة : العلو :

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

[البقرة : ٢٥٥]

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته في السجود : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » رواه مسلم من حديث حذيفة^(٢٩) وأجمع السلف على ثبوت العلو لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو علو حقيقى يليق بالله .

وينقسم إلى قسمين :

(أ) علو صفة : بمعنى أن صفاته تعالى عُلْيَا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق .

(ب) وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق :

قوله تعالى :

﴿ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾

[الملك : ١٦]

وقول النبي ﷺ : « رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ... » الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة ابن محمد قال البخارى منكر الحديث^(٣٠) .

(٢٩) مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٧٧٢) (٢٠٣) ضمن حديث طويل لحذيفة .

(٣٠) حديث ضعيف : وله إسنادان : الأول : من طريق زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء : أخرجه أبوداود (٣٨٩٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٧) والحاكم (٣٤٤/١) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٢٣) والدارمي في الرد على الجهمية (٧٠) وابن قدامة في العلو (١٨) وإسناده ضعيف جداً فزياد بن محمد الأنصارى متروك كما في التقريب وذكر الحافظ الذهبي في الميزان (٩٨/٢) أنه انفرد بهذا الحديث . وعقب على تصحيح الحاكم لهذا الحديث بقوله : « زيادة قال فيه البخارى وغيره : منكر الحديث » وفي العلو ص (٢٧) « زيادة لين الحديث » .

الثاني : رواه أحمد (٢٠/٦ ، ٢١) من طريق أبي بكر بن أبي مریم عن الأشياخ عن فضالة ابن عبيد الأنصارى قال علمنى رسول الله ﷺ رقيه وأمرنى أن أرقى بها ... فذكره .

وإسناده ضعيف فقيه جهالة وضعف : أما الجهالة ففي قوله : عن الأشياخ وأما الضعف فأبوبكر بن أبي مریم ضعيف مختلط .

وقوله ﷺ للجارية: « أَيْنَ اللَّهِ؟ » قالت: في السماء . قال: « اغتفها فإنها مؤمنة » رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم (٣١) .

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين : « اترك السنة واعبد الذي في السماء » هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي ﷺ لحصين حين قال « نَسْتُ في الأرضِ وَوَاحِدًا في السماء » (٣٢) .

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسرُوا معناها أن في السماء مُلكه وَسُلْطَانَهُ ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

وبوجه رابع : أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضاً .

وبوجه خامس : وهو دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال .

(٣١) مسلم : كتاب الجنائز ومواضع الصلاة : باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) (٣٣) من حديث معاوية بن الحكم السلمي .

(٣٢) حديث ضعيف : أخرجه ابن قدامة في العلو (١٩) ومن طريقه الذهبي في العلو للعلی الغفار ص (٢٣ ، ٢٤) من طريق رجاء بن محمد البصري حدثنا عمران بن خالد بن طليق حدثني أبي عن أبيه عن جده ... مطولاً .

وقال الذهبي : « عمران - يعني ابن خالد - ضعيف » .

والحديث في إسناده خالد بن طليق قال فيه الدراقطني : « ليس بالقوى » كما في لسان الميزان لابن حجر (٣٧٩/٢)

والحديث رواه ابن خزيمة في التوحيد ص (١٢٠ ، ١٢١) عن رجاء به وكذا عزاه ابن حجر في الإصابة (٣٧٧/١) كما ذكر الشيخ العثيمين حفظه الله .

وبوجه سادس : وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء .

معنى كون الله في السماء :

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء ففى بمعنى على وليست للظرفيه لأن السماء لا تحيط بالله أو إنه فى العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية .

تنبيه : ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبى ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له (٣٣) ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة وما لا يختص لا يضح أن يكون علامة ولأن التعبير بالزعم فى هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتى الزعم فيما يُشكُّ فيه .

* * *

[٢٠] سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله ف قيل : يا أبا عبدالله :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾

[طه : ٥]

(٣٣) ورد ذلك ضمن أثر أخرجه ابن قدامة فى العلو (٢١) بإسناده إلى عدى بن عميرة بن فروة المعبدى والقصة فى الإصابة (٤٧٠/٢) فى ترجمة عدى بن عميرة وذكرها الذهبى فى العلو ص(٢٥) وقال : « هذا حديث غريب » .

كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ثم أمر بالرجل فأخرج ^(٣٤) .

..... الشرح

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة . ولد مالك سنة ٩٣ هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩ هـ وهو في عصر تابعي التابعين .

سُئِلَ مالك فقليل : يا أبا عبدالله

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾

[طه : ٥]

كيف استوى فقال رحمه الله : « الاستواء غير مجهول » أى معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار « والكيف غير معقول » أى كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته « والإيمان به » أى الاستواء « واجب » لوروده في الكتاب والسنة « والسؤال عنه » أى عن الكيف « بدعة » لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه . ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم .

* * *

(٣٤) أثر صحيح : أخرجه ابن قدامة في العلو (١٠٤) والذهبي في العلو ص (١٤١) ، (١٤٢) وأبونعيم في الحلية (٣٢٥/٦ ، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص (٥٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٢٤-٢٦) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٠٨) من طرق يقوى بعضها بعضاً وصححه الذهبي في العلو وكذا قواه الألباني في مختصره للعلو وقال الحافظ في الفتح (٤٠٦/١٣ ، ٤٠٧) : « وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب به .. فذكره » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٦٥/٥) بعد أن ذكر قول مالك : « ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك » أ.هـ .

فصل

كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى

[٢١] ومن صفات الله تعالى ، أنه متكلم بكلام قديم ، يُسْمِعُهُ منه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله .

[٢٢] وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

[النساء : ١٦٤]

وقال سبحانه :

﴿ يَمْوِسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾

[الأعراف : ١٤٤]

وقال سبحانه :

﴿ مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾

[البقرة : ٢٥٣]

وقال سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾

[الشورى : ٥١]

وقال سبحانه :

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوِسَّىٰ ﷻ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾

[طه : ١١ ، ١٢]

وقال سبحانه :

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾

[طه : ١٤]

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

[٢٣] وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ » روى ذلك عن النبي ﷺ .

[٢٤] وروى عبدالله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال : « يَخْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةَ حُفَاةَ غُرْلًا بُهْمًا ، فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدَّيَّانُ » . رواه الأئمة واستشهد به البخارى .

[٢٥] وفى بعض الآثار : « أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ فَهَالَتهُ فَفَزِعَ مِنْهَا ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا مُوسَى ، فَأَجَابَ سَرِيعاً اسْتِثْناساً بِالصَّوْتِ ، فَقَالَ : لَبِيكَ لَبِيكَ ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا فَوْقَكَ وَأَمَامَكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ . فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى . قَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي ، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ ؟ قَالَ : بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى » .

..... الشرح

الصفة الخامسة عشرة : الكلام :

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

[النساء : ١٦٤]

﴿ مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾

[البقرة : ٢٥٣]

وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوجِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ » أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم (٣٥) .

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل . وهو كلام حقيقى يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة .

● والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾

[الأعراف : ١٤٣]

فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى .

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى (٣٦) :

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين :

الطائفة الأولى : الجهمية ، قالوا ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذى يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل ناقة الله وبيت الله . ونرد عليهم بما يلى :

١ - إنه خلاف إجماع السلف .

٢ - خلاف المعقول لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم .

(٣٥) سيأتى تخريجه ص (٧٦) .

(٣٦) راجع : فصل : كشف تلبيس الجهمية المعتزلة في كلام الله تعالى وفصل : كشف تلبيس الأشعرية في إثبات صفة الكلام لله تعالى .

من كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية لأخينا الفاضل عبدالله بن يوسف الجديع كرمه الله فقد أجاد فيه وأجاد .

٣ - إن موسى سمع الله يقول :

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾

[طه : ١٤]

ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

الطائفة الثانية : الأشعرية ، قالوا كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله ونرد عليهم بما يلي :

١ - إنه خلاف إجماع السلف .

٢ - خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت لا يسمع المعنى القائم بالنفس .

٣ - خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمرة في نفسه .

● والدليل على أنه حروف قوله تعالى :

﴿ يَمُوسَىٰ ۖ إِنَّي أَنَا رَبُّكَ ﴾

[طه : ١١ ، ١٢]

فإن هذه الكلمات حروف وهى كلام الله .

● والدليل على أنه بصوت قوله تعالى :

﴿ وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ ﴾

[مريم : ٥٢]

والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت . وروى عبدالله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال : « يَخْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ » ، علقه البخارى بصيغة التمريض ، قال فى الفتح

وأخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد وأبو يعلى في مسنديهما وذكر له طريقين آخرين (٣٧) .

وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الأحاد ومعنى قديم النوع إن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن ، ومعنى حادث الأحاد أن آحاد كلامه أى الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء .

تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام :

قوله : « متكلم بكلام قديم » يعنى قديم النوع حادث الأحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة وإن كان ظاهر كلامه إنه قديم النوع والآحاد .

قوله : « سمعه موسى من غير واسطة » لقوله تعالى :

﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾

[طه : ١٣]

قوله « وسمعه جبريل » لقوله تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾

[النحل : ١٠٢]

(٣٧) حديث حسن : علّقه البخارى في صحيحه في موضعين أحدهما بصيغه الجزم (١٧٣/١) وبصيغه التمرّض (٤٥٣/١٣) .

ووصله في كتابه الأدب المفرد (٩٧٠) وكتابته خلق أفعال العباد (ص ١٣١) .

وكذا الإمام أحمد في مسنده (٤٩٥/٣) والبيهقى في الأسماء والصفات ص (٧٨ ، ٧٩) وابن أبى عاصم في السنة ص (٥١٤) والحاكم في المستدرک (٤٣٧/٢ - ٥٧٤/٤ ، ٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبى ، وقواه الخافض في الفتح (١٧٤/١) وذكر له أكثر من طريق وقال عن أحدها أنه « صالح » وراجع التعليق له (٣٥٣/٥) .

وقال الألبانى في تخريج السنة (٥١٤) : « حديث صحيح » .

وأورده ابن قدامة في كتابه البرهان في بيان القرآن ص (٨٦) .

قوله « ومن أذن له من ملائكته ورسله » أما الملائكة فلقوله ﷺ : « وَلَكِنْ رَبُّنَا إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ يُسَبِّحُ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ حَتَّىٰ يَتْلُغَ التَّسْبِيحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فيقول الذين يُلُون حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبا: ٢٣] فَيُخْبِرُونَهُمْ » الحديث رواه مسلم (٣٨) وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً ﷺ ليلة المعراج . (٣٩)

قوله « وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه » لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبُّنَا وَسَعْدَيْكَ » ، الحديث متفق عليه . (٤٠)

قوله : « ويأذن لهم فيزورونه » لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا فِيهَا تَزَلُّوا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ ... » الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال غريب وضعفه الألباني . (٤١)

(٣٨) مسلم : كتاب السلام : باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٢٢٢٩) (١٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣٩) كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عن مالك بن صعصعة : البخاري (٣٢٠٧) ، (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) (٢٦٤) .

(٤٠) البخاري : كتاب الرقاق : باب قوله عز وجل ﴿إِنْ زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٥٣٠) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار ... (٢٢٢) (٣٧٩) . من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤١) حديث ضعيف : جزء من حديث طويل رواه الترمذي (٢٥٥٢) وابن ماجه (٤٣٣٦) وفي إسناده عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين كاتب الأوزاعي قال في التقريب ص (٣٣٣) : « صدوق ربما أخطأ قال أبو حاتم : كان كاتب ديوان ولم يكن صاحب حديث » . ولذا ضعفه الترمذي بقوله : « هذا حديث غريب » يعني ضعيف .

وقوله : « وقال ابن مسعود إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء وروى ذلك عن النبي ﷺ » أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقة في كتاب التوحيد بالفاظ منها « سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ لِلْسَّمَوَاتِ صَلَصلةً » وأما المروى عن النبي ﷺ فهو من حديث النواس ابن سمعان مرفوعاً « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ فَإِذَا تَكَلَّمَ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً أَوْ قَالَ رَغْدَةً شَدِيدَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعَقُوا ... » الحديث . رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم . (٤٢) .

* * *

(٤٢) حديث صحيح : وقد ورد عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً :

— أما الموقوف : فعلقه البخارى في صحيحه (٤٥٣/١٣ - فتح) وقد وصله ابن خزيمة في التوحيد ص (١٤٦ ، ١٤٧) وابن جرير (٩٠/٢٢) وعبدالله بن أحمد في السنة (٥٣٧) والبيهقى في الأسماء والصفات (ص ٢٠١) وغيرهم من طريق أبى الضحى عن مسروق عن عبدالله به موقوفاً بلفظ : « إِنْ أَرَادَ اللَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ لِلْسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصِّفَا فَيَصْعَقُونَ ... » وسنده صحيح وفي لفظ آخر عند عبدالله بن أحمد في السنة (٥٣٦) : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ » الحديث . وعزاه ابن قدامة في البرهان في بيان القرآن ص (٨٤ ، ٨٥) لعبدالله بن أحمد في الرد على الجهمية قال : قلت يَأْبَتُ إِنْ الْجَهْمِيَّةُ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ فَقَالَ كَذَبُوا إِنَّمَا يَدُورُونَ عَلَى التَّعْطِيلِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيُّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضَّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فَذَكَرَهُ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ . وقد عزاه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٣٨/٢) للخلال عن يعقوب بن بختان عن أحمد .

— وأما المرفوع : فأخرجه أبوداود (٤٧٣٨) وابن خزيمة في التوحيد (٩٦، ٩٥) والبيهقى في الأسماء والصفات ص (٢٠٠) عن أبى معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِ السَّلْسَلَةِ » .

وقال الألبانى في الصحيحة (١٢٩٣) : « وإسناده صحيح على شرط الشيخين » ثم قال : والموقوف وإن كان أصح من المرفوع - ؛ ولذلك علقه البخارى في صحيحه - فإنه لا يعمل المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأى كما هو ظاهر ، ثم ذكر له شاهداً من حديث أبى هريرة عند البخارى (٤٧٠١) (٤٨٠٠) .

فصل

الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ

[٢٦] ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين ، وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، بلسان عربي مبين ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

[٢٧] وهو سور محكمات ، وآيات بينات ، وحروف وكلمات ، من قرأه فأعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات له أول وآخر ، وأجزاء وأبعاض ، متلو بالألسنة ، محفوظ في الصدور ، مسموع بالأذان ، مكتوب في المصاحف ، فيه محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، وأمر ونهى

﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت : ٤٢]

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء : ٨٨]

= قلت : وأيضاً من حديث ابن عباس عند مسلم (٢٢٢٩) ، وأحمد (٢١٨/١) والترمذي (٣٢٧٧) وأيضاً : حديث النواس بن سمعان الذي أشار إليه الشيخ العثيمين وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٦٣ ، ٢٦٤) والطبراني كما في المجمع (٩٤/٧ ، ٩٥) وقال الهيثمي : « رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قاذح معين وبقيه رجاله ثقات ، أ.هـ .

..... الشرح

القول في القرآن :

القرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله حروفه ومعانيه . دليل أنه من كلام الله قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾

[التوبة : ٦]

يعنى القرآن :

ودليل أنه مُنَزَّلُ قوله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾

[الفرقان : ١]

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

[الأعراف : ٥٤]

فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾

[الشورى : ٥٢]

﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا ﴾

[الطلاق : ٥]

ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة .

ودليل أنه منه بدأ ، أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً .

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار « أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان » (٤٣) .

* * *

[٢٨] وهذا هو الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا :

﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾

[سبا : ٣١]

وقال بعضهم :

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾

[المدثر : ٢٥]

فقال الله سبحانه :

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾

[المدثر : ٢٦] .

وقال بعضهم : هو شِعْرٌ ، فقال الله تعالى :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

[يس : ٦٩]

فلما نفى الله عنه أنه شِعْرٌ وأثبت قرآناً لم يبق شبهة لى لى فى أن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو كلمات وحروف وآيات . ، لأن ما لى كذلك لا يقول أحد : إنه شِعْرٌ .

(٤٣) وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بذلك كما فى حديث حذيفة مرفوعاً : « ... وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية ... » الحديث .

رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٤٧٣/٤) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وقال الألبانى فى الصحيحه (٨٧) : « وهو كما قالا » .

وكذا صح موقوفاً من حديث أبى هريرة وابن مسعود وراجع لذلك العقيدة السلفية فى كلام رب البرية ص (١٧٣ ، ١٧٤) .

[٢٩] وقال عز وجل :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

[البقرة : ٢٣]

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل .

[٣٠] وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
أَتَنْبِئُكُمْ بِغَيْرِهَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ﴾

[يونس : ١٥]

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم .

[٣١] وقال تعالى :

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

[العنكبوت : ٤٩]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴾

[الواقعة : ٧٧-٧٩]

بعد أن أقسم على ذلك .

[٣٢] وقال تعالى :

﴿ كَهَيْعَتِ

[مريم : ١]

﴿ حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَىٰ

[الشورى : ١]

وافتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة .

[٣٣] وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ » .
حديث صحيح (٤٤) .

[٣٤] وقال عليه الصلاة والسلام : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةً السَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَائِقِهِمْ ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » (٤٥) .

(٤٤) حديث ضعيف جداً : أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١٦٣/٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعربوا القرآن ، فإن من قرأ القرآن فأعربه ، فله عشر حسنات ، وكفارة عشر سيئات ، ورفع عشر درجات » وقال الهيثمي وفيه نهشل وهو متروك . ونهشل هو ابن سعيد بن وردان الورداني متروك وقد كذبه إسحاق بن راهوية .

وكذا أورد الحديث ابن قدامة في البرهان ص (٣٨ ، ٣٩) ثم قال : حديث صحيح !!
والحق أنه حديث ضعيف جداً . وقد ورد في فضل قراءة القرآن عن ابن مسعود حديث آخر قريب من هذا بلفظ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » أخرجه الترمذي (٢٩٠) مرفوعاً وصوب الأخ الكريم عبدالله بن يوسف وقفه على ابن مسعود في بحث فريد في تذييله على كتاب « الرد على من يقول (آلم) حرف » لابن منده فجزاه الله خيراً .

(٤٥) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٣٣٨/٥) وأبوداود (٨٣١) وابن حبان (١٨٧٦) - موارد) وفي إسناده ضعف ففيه وفاة بن شريح الصدفي مقبول - كما في التقريب - يعني حيث يتابع والإ فلين الحديث .

إلا أن الحديث له شواهد يتقوى بها : منها حديث جابر بن عبدالله عند أحمد (٣٩٧/٣) وأبوداود (٨٣٠) وإسناده صحيح كما قال الألباني في الصحيحة (٢٥٩) .

والحديث أورده ابن قدامة في البرهان ص (٣٥ ، ٣٦) من حديث سهل بن سعد .
• الترقوه : الحلقوم .

[٣٥] وقال أبوبكر وعمر رضى الله عنهما : « إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه » (٤٦) .

[٣٦] وقال على رضى الله عنه : « من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله » (٤٧) .

[٣٧] واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه .

[٣٨] ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر ، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

.... الشرح

(٤٦) أثر ضعيف جداً : أخرجه ابن الأبارى فى الوقف والابتداء (٢٠/١) بلفظ « لبعض إعراب القرآن أعجب إلينا من حفظ بعض حروفه » وإسناده ضعيف جداً فيه ضعف وانقطاع فيه جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف وكذا شريك القاضى صدوق يخطئ كثيراً وتغير حفظه وانقطاع بين أبى بكر وعمر وبين الراوى عنهما . عن تعليق بدر البدر على اللمعة ص (١٩) .

وأورده ابن قدامة فى البرهان ص (٤٤) .

(٤٧) أخرجه ابن أبى شيبه (٥١٣/١٠ ، ٥١٤) وابن جرير فى تفسيره (٥٦) من طريق شعيب بن الحبّاب قال : كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : ليس كما يقرأ ، وإنما يقول : أما أنا فأقرأ كذا وكذا ، قال فذكرت ذلك لإبراهيم النخعى فقال : أرى صاحبك قد سمع : « أن من كفر بحرفٍ منه ، فقد كفر به كله » وإسناده صحيح .

وقد أورده ابن قدامة فى البرهان ص (٤٥) وأورد أثراً آخر عن على أنه سئل عن الجنب ، هل يقرأ القرآن ؟ قال « ولا حرفاً » .

قلت : هو عند ابن أبى شيبه فى مصنفه (١٠٢/١) .

القرآن حروف وكلمات :

القرآن حروف وكلمات وقد ذكر المؤلف - رحمه الله - لذلك أدلة ثمانية :

١ - أن الكفار قالوا إنه شعر ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات^(٤٨) .

٢ - أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدى غير مقبول إذ لا يمكن التحدى إلا بشيء معلوم يدرى ما هو .

٣ - أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا تَوْبَدِّلُهُ ﴾

[يونس : ١٥]

ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات .

٤ - أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

[العنكبوت : ٤٩]

﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

[الواقعة : ٧٧-٧٩]

(٤٨) قال ابن قدامة في البرهان ص (٢٧) : « ومن المعلوم أننا عنوا هذا النظم ؛ لأن الشعر كلام موزون ، فلا يسمى به معنى ، ولا مالميس بكلام ، فسماه الله تبارك وتعالى ذكراً وقرآناً مبيناً ، أ.هـ .

وراجع الأدلة من الكتاب والسنة والاجماع على أن القرآن حروف وكلمات في البرهان في بيان القرآن لابن قدامة ص (٢٦ : ٨٣) .

ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات .

٥ - قول النبي ﷺ : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ » : صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه (٤٩) .

٦ - قول أنى بكر وعمر : « إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

٧ - قول على رضى الله عنه : « من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » .

٨ - إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن من جحد منه سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر (٥٠) .

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة .

أوصاف القرآن :

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي :

١ - أنه كتاب الله المبين أى المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار .

٢ - إنه حبل الله المتين أى العهد القوى الذى جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته .

٣ - إنه سور محكمات أى مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض .

٤ - إنه آيات بينات أى علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته وحسن تشريعاته .

.

(٤٩) وقد تقدم أنه غير صحيح وأنه حديث ضعيف جداً عزاه الهيثمى فى المجمع للطبرانى فى الأوسط وفيه نهشل بن سعيد متروك .

(٥٠) راجع : البرهان لابن قدامة ص (٥١:٤٩) ونقل ابن قدامة الاجماع على ذلك وفى أمور كثيرة تتعلق بذلك .

٥ - إن فيه محكماً ومتشابهاً فالمحكم ما كان معناه واضحاً والمتشابه ما كان معناه خفياً ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) لأن الإحكام هناك بمعنى الاتقان والحفظ من الخلل والتناقض وهنا بمعنى وضوح المعنى ، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكماً .

٦ - إنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أى جهة :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت : ٤٢]

٧ - إنه برىء مما وصفه به المكذبون به من قولهم إنه شعر :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾

[يس : ٦٩]

وقول بعضهم

﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾

[المدثر : ٢٤]

﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾

[المدثر : ٢٥]

فقال الله متوعداً هذا القائل :

﴿ سَأُضْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[المدثر : ٢٦] .

٨ - إنه معجز لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن علاونه غيره :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾

[الإسراء : ٨٨]

* * *

فصل

رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

[٣٩] والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه ، قال الله تعالى :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾
وقال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُوتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

[المطففون : ١٥]

[٤٠] فلما حجب أولئك في حال السخط ، دَلَّ على أَنَّ المؤمنين يرونه في حال الرضى ، وإلا لم يكن بينهما فرق .

[٤١] وقال النبي ﷺ : « إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » . حديث صحيح متفق عليه (٥١) .

(٥١) البخارى : كتاب مواقيت الصلاة : باب فضل صلاة الفجر (٥٧٣) .

ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٣) (٢١١) من حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه .

وأحاديث الرؤية متواترة كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم : ابن القيم في حادى الأرواح ص (٢٧٧) وابن ابي العز في شرح الطحاوية (٢١٥/١) والحافظ ابن حجر في فتح البارى (٢٠٣/١) .

وراجع ما صنف في هذه المسألة مثل : التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للآجرى وضوء السارى إلى معرفة رؤية البارى لأبى شامة المقدسى وكلاهما مطبوع .

[٤٢] وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى ، فإن الله تعالى لا شبه له ولا نظير .

..... الشرح

رؤية الله فى الآخرة :

. رؤية الله فى الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله :

﴿ لَنْ تَرِنِّى ﴾

[الأعراف : ١٤٣]

ورؤية الله فى الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾

[القيامة : ٢٢ ، ٢٣]

وقال :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴾

[المطففون : ١٥]

فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق .

وقال النبى ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فى رؤيته » ، متفق عليه وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى لأن الله ليس كمثله شئ ولا شبه له ولا نظير .

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية .

يرون الله تعالى فى عُرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .

وهى رؤية حقيقية تليق بالله .

وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة وباعتبار التأويل الثاني بذلك وبوجه رابع أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة^(٥٢).

* * *

(٥٢) راجع في الرد على المخالفين : حادى الأرواح لابن القيم وشرح الطحاوية لابن أبي العز وكذا حديثاً : دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر لعبدالعزیز بن زید الرومی .

فصل

القضاء والقدر

[٤٣] ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء بحكمته ، قال الله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢٣]

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[القمر : ٤٩]

وقال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾

[الفرقان : ٢]

وقال تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾

[الحديد : ٢٢]

وقال تعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ

يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

[الأنعام : ١٢٥]

[٤٤] وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ :
ما الإيمان ؟ قال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ » . فقال جبريل صدقت . رواه مسلم (٥٣) .

[٤٥] وقال النبي ﷺ : « آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرُّهُ وَحُلُوهُ
وَمُرُّهُ » (٥٤) .

[٤٦] ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به
في قنوت الوتر : « وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ » (٥٥) .

(٥٣) مسلم : كتاب الإيمان . باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... (٨) (١) وفي
الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه : عند البخاري (٥٠) ومسلم (٩) (٥) .

(٥٤) إسناده ضعيف : أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (٣١ ، ٣٢) ومن طريقه
العراق في شرحه لألفيته ص (٣٢٧) كمثال للحديث المسلسل بأحوال الرواة القولية والفعلية معاً
من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يجد العبد حلاوة
الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، ورأيت رسول الله ﷺ قبض على لحيته ثم
قال : « آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره » قال وقبض أنس على لحيته فقال : آمنت بالقدر
خيريه وشره حلوه ومره ... الحديث . وقال الحاكم بعد أن نساق تسلسل الرواة على هذه
الصفة : « وأنا أقول عن نية صادقة وعقيدة صحيحة : آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره »
ويزيد الرقاشي ضعيف كما في التقريب (٧٦٨٣) بل قال النسائي فيه : متروك وقال أحمد : منكر
الحديث كما في الميزان (٤١٨/٤)

والحديث عزاه الشيخ ياسين الفاداني في ورقات في « مجموعة المسلسلات والأوائل الأسانيد
العالية » ص (٦ ، ٧) للدليمي في مسند الفردوس .

(٥٥) حديث صحيح : أخرجه أحمد (١٧٢٣) وأبوداود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) والترمذي
(٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣) وابن ماجه (١١٧٨) وإسناده صحيح وقد صححه الشيخ أحمد
شاکر في تعليقه على سنن الترمذی .

..... الشرح

القدر :

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود : ١٠٧]

فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتديره بيده ملكوت السموات والأرض يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يُسألون لأنهم مربوبون محكومون .

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي ﷺ :
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .
رواه مسلم وغيره .

وقال النبي ﷺ : « آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ حُلُوهُ وَمُرُّهُ » فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتباره وقت إصابته . وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً .

= * فائدة مهمة : قال الشيخ محمد صالح العثيمين في دروس فتاوى في الحرم المكي عام ١٤٠٨ هـ ص (١٣٦) : في شرح دعاء القنوت : (وقنا شر ما قضيت) : الله عز وجل يقضى بالخير ويقضى بالشر . أما قضاؤه بالخير فهو خير محض في القضاء والمقضى مثال : أن يقضى الله عز وجل للناس بالرزق الواسع والأمن والطمأنينة والهداية والنصر ... إلخ فهذا خير في القضاء والمقضى . وأما قضاؤه بالشر فهو خير في القضاء شر في المقضى ومثال ذلك : القحط وامتناع المطر فهذا شر لكن قضاء الله به خير ، قال تعالى : ﴿ طَهَّرَ الْفَسَادَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فلهذا القضاء غاية حميدة وهي الرجوع إلى الله تعالى من معصيته إلى طاعته فصار المقضى شراً ، وصار القضاء خيراً .

ونحن نقول « شر ما قضيت » : وما هنا اسم موصول ، أى شر الذى قضيته ، فإن الله تعالى قد يقضى بالشر لحكمة بالغة حميدة ، أ.هـ .

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات والصحة والغنى ومنه ما يكون شراً كالمعاصي والمرض والفقر أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال إنه شر لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي : « وَقِنِي شَرَّ مَا قُضِيَتْ » فَأُضَافَ الشَّرُّ إِلَى مَا قُضَاهُ لَا إِلَى قَضَائِهِ .

والإيمان بالقدر لايم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[الحج : ٧٠]

الثاني : أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾

[الحديد : ٢٢]

أى نخلق الخليقة ولقوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » . رواه مسلم . (٥٦)

الثالث : إنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة يهdy من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لايسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[القمر : ٤٩]

(٥٦) مسلم : كتاب القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣) (١٦) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ولفظ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .. » .

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ،
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾

[الأنعام : ١٢٥]

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

. الرابع : أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره
ولا رب سواه لقوله تعالى :

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

[الفرقان : ٢]

وقال على لسان إبراهيم :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

[الصافات : ٩٦]

* * *

[٤٧] ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب
نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن الله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة
الرسل . قال الله تعالى :

﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

[النساء : ١٦٥]

..... الشرح

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية :

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاص كلها مخلوقة لله كما سبق ولكن ليس
ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها :

١ - إن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال :

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر : ١٧]
ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقُدرة عليه ماُنسب إليه .

٢ - إن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦]

ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل أو الكف لأن المجبور لا يستطيع التخلص .

٣ - أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري وأن الأول يستطيع التخلص منه .

٤ - أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قُدِّر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قُدِّر لي ؟ .

٥ - أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾

[النساء : ١٦٥]

ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل .

* * *

[٤٨] ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحداً على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة ، قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[البقرة : ٢٨٦]

وقال الله تعالى :

﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

[التغابن : ١٦]

وقال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ .

[غافر : ١٧]

[٤٩] فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يُجْزَى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

..... الشرح

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل :

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن والسيء بمثله فكيف نوفق بينهما ؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران :

الأول : أن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى .

الثاني : أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى وخالق السبب خالق للمسبب فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مُسَبَّب إلى سبب لا نسبة مباشرة لأن المباشر حقيقة هو العبد فلذلك نُسِبَ الفعل إليه كسباً وتحصيلاً ونُسِبَ إلى الله خلقاً وتقديراً فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم .

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم :

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان :

الطائفة الأولى: الجبرية يقولون العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك . ونرد عليهم بأمرين :

١ - إن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً .

٢ - إن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والإلزامي في الحقيقة والحكم فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة .

الطائفة الثانية : القدرية يقولون العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق ونرد عليهم بأمرين :

١ - إنه مخالف لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[الزمر : ٦٢]

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[الصافات : ٩٦]

٢ - إن الله مالك السموات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقته ؟ .

* * *

أقسام الإرادة والفرق بينها :

إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية :

فالكونية : هى التى بمعنى المشيئة كقوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

[الأنعام : ١٢٥]

والشرعية : هى التى بمعنى المحبة كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

[النساء : ٢٧]

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله
وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه .

* * *

فصل

الإيمان قول وعمل

[٥٠] والإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالعصيان .

[٥١] قال الله تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾

[البينة : ٥]

فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

[٥٢] وقال رسول الله ﷺ : « الإِيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

[٥٣] فجعل القول والعمل من الإيمان . وقال تعالى :

﴿ فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾

[التوبة : ١٢٤]

وقال :

﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا ﴾

[الفتح : ٤]

[٥٤] وقال رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة ، أو خردلة ، أو ذرة من الإيمان » فجعله متفاضلاً .

..... الشرح

الإيمان :

الإيمان لغة : التصديق ، واصطلاحاً : قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان .

مثال القول : لا إله إلا الله ، ومثال العمل : الركوع ومثال العقد : الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده .

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

[البينة : ٥]

فجعل الإخلاص والصلاة والزكاة من الدين .

وقال النبي ﷺ : « الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَغْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأُذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » رواه مسلم ، بلفظ « فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وأصله في الصحيحين . (٥٧) والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لقوله تعالى :

﴿ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا ﴾

[آل عمران : ١٧٣]

﴿ لِيَزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾

[الفتح : ٤]

(٥٧) مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها .. (٣٥)

(٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وهو عند البخارى : كتاب الإيمان : باب أمور الإيمان (٩) مختصراً بلفظ : « الإيمان بضْعٌ

وستون شعبة ، والحياة شعبة من الإيمان » .

وقال النبي ﷺ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ
بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ » رواه البخارى^(٥٨) بنحوه فجعله النبي ﷺ
متفاضلاً وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً
عن الزائد .

* * *

(٥٨) البخارى : كتاب الإيمان : باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٤) .
ومسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٣) (٣٢٥) . من حديث أنس
ابن مالك رضى الله عنه .

فصل

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول

[٥٥] ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج^(٥٩) وكان يقظة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

[٥٦] ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .
..... الشرح

السمعيات :

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أى بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل وكل ما ثبت عن النبي ﷺ من أخبار فهو حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى :
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾

[البقرة : ١١٩]

وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً :

(٥٩) البخارى (٣٢٠٧) (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) (٢٦٤) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة . وراجع الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للسيوطى . ونور المسرى لأبى شامة . والإسراء والمعراج لأبى شهاب .

الأمر الأول : الإسراء والمعراج :

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً وقبل بمعنى سرى .. وشرعاً : سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾
[الإسراء : ١] الآية .

والمعراج لغة : الآلة التي يُعْرَجُ بها وهي المصعد وشرعاً : السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء لقوله تعالى :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ ﴾
[النجم : ١ ، ٢]

إلى قوله :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

[النجم : ١٨]

وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور وللعلماء خلاف متى كانت فيروى بسندٍ مُنْقَطِعٍ عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهم « أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول » ولم يعينا السنة . رواه ابن أبي شيبة .

وَيُرَوَّى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة رواه البيهقي فتكون في ربيع الأول ولم يُعَيَّنَا الليلة وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي وَيُرَوَّى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً رواه الحاكم فتكون في ذى القعدة وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بست .

وكان يقظة لا مناماً لأن قريشاً أكبرته وأنكرته ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات .

وقصته أن جبريل أمره الله أن يسرى بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البراق ثم يعرج به إلى السموات العلى سماء سماء حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام وفرض الله عليه الصلوات الخمس واطلع على الجنة والنار واتصل بالأنبياء الكرام

وصلى بهم إماماً ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون .

الأمر الثاني : مجيء ملك الموت إلى موسى ﷺ :

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه فلطمه موسى فقأ عينه فرجع الملك إلى الله وقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال : ارجع إليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة فقال موسى : ثم ماذا قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال النبي ﷺ : « فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ » . وهذا الحديث ثابت في الصحيحين^(٦٠) وإنما أثبتته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك ونرد عليهم بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو يطلب منه نفسه فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو اعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور^(٦١) .

(٦٠) البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء : باب وفاة موسى وذكره بعد (٣٤٠٧)

ومسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل موسى (٢٣٧٢) (١٥٧) .

من حديث أوى هريرة رضى الله عنه وراجع في الدفاع عن هذا الحديث ضد طعن الطاعنين وتلبسات المضلين : تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند (٧٦٣٤) والأنوار الكاشفة للمعلمي اليماني (٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٦١) قال الإمام ابن حبان في صحيحه تحت عنوان : « ذكر خبر شنع به على منتحلي سنن المصطفى ﷺ من حُرِّمَ التوفيق لإدراك معناه » ثم قال عقب روايته : « إن الله جل وعلا بعث رسوله ﷺ معلماً لخلقه فأنزله موضع الإبانة عن مراده فبلغ ﷺ رسالته وبين عن آياته بالفاظ مجملة ومفصلة ، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم . وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق ؛ وذلك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى عليه =

[٥٧] ومن ذلك أشرط الساعة : مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله . وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل (٦٢) .

= السلام رسالة ابتلاء واختبار وأمره أن يقول له : « أجب ربك » أمر اختبار وابتلاء ، لا أمراً يريد الله جل وعلا امضائه كما أمر خليله - صلى الله على نبينا وعليه - بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذى أراد الله جل وعلا لإمضائه ، فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبين ، فداه بالذبح العظيم . وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على إبراهيم ، ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة ، وكمجىء جبريل إلى رسوله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام والإحسان فلم يعرفه المصطفى ﷺ حتى ولى . فكان مجىء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التى كان يعرفه موسى عليه السلام عليها ، وكان موسى غيوراً فرأى في داره رجلاً لم يعرفه ، فشال يده فلطمه ، فأنت لطمته على فقه عينه التى فى الصورة التى يتصور بها لا الصورة التى خلقه الله عليها ، ولما كان المصرح عن نبينا ﷺ في خبر ابن عباس حيث قال : « أُمْنِى جبريل عند البيت مرتين » فذكر الخبر وقال في آخره : « هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك » كان في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا قد يتفق مع بعض شرائع من قبلنا من الأمم . ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر في بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ولا حرج على مرتكبه للأخبار الجمّة الواردة فيه التى أمليناها في غير موضع من كتبنا كان جائزاً اتفاق هذه الشريعة : شريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحاً له ولا حرج عليه في فعله ، فلما رجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى فيه ، أمره ثانياً بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء - كما ذكرنا من قبل - إذ قال الله له قل له : إن شئت فضع يدك على متن ثور ، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى كلام الله صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن . فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت ما استعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الخطب ورعاة الليل يجمعون مالا ينتفعون به ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام جهلاً منه بمعاني الأخبار وترك التفقه والآثار معتمداً في ذلك على رأيه المنكوس وقياسه المعكوس ، أ.هـ .

(٦٢) راجع في ذلك : النهاية لابن كثير والإذاعة لصديق حسن خان .

..... الشرح

الأمر الثالث : أشراط الساعة :

الأشراط جمع شرط وهو لغة: العلامة . والساعة لغة: الوقت أو الحاضر منه والمراد بها هنا القيامة ... فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة . قال الله تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾

[محمد : ١٨]

وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي :

١ - (خروج الدجال) وهو لغة : صيغة مبالغة من الدجل وهو الكذب والتمويه وشرعاً : رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعى الربوبية . وخروجه ثابت بالسنة والإجماع قال النبي ﷺ : « قُولُوا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ » رواه مسلم^(٦٣) . « وكان النبي ﷺ يتعوذ منه في الصلاة » متفق عليه^(٦٤) . وأجمع المسلمون على خروجه .

وقصته : « أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب . ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان فيسير

(٦٣) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٩٠) (١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦٤) البخارى : كتاب الأذان : باب الدعاء قبل السلام (٨٣٢) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٩) (١٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفي الباب عن أنس بن مالك : عند مسلم (٥٨٨) (١٣٠) .

في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ومدته أربعون يوماً يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة وباقي أيامه كالعادة . وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط . وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة حذر منه النبي ﷺ وقال : « مَنْ سَمِعَ بِهِ فَلْيُنْأ عنه وَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ قَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ أَوْ بِقَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ » (٦٥) .

٢ - (نزول عيسى ابن مريم) : نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .
قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

[النساء : ١٥٩]

أى موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسره أبوهريرة بذلك .

وقال النبي ﷺ : « وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا وَعَدْلًا » . الحديث متفق عليه . (٦٦)

وقد أجمع المسلمون على نزوله فينزل عند المنارة البيضاء في شرق دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلب الدجال حتى يدرك بباب لد فيقتله . ويكسر الصليب

(٦٥) راجع حديث النواس بن سميان عند مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال وصفته : (٢٩٣٧) (١١٠) ، (١١١) .

(٦٦) البخارى : كتاب البيوع : باب قتل الخنزير (٢٢٢٢)

كتاب الأنبياء : باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٤٤٨)

ومسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥) (٢٤٢) .

ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر كل هذا ثابت في صحيح مسلم وبعضه في الصحيحين كليهما^(٦٧) . وروى الإمام أحمد وأبو داود « أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون »^(٦٨) وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي ﷺ فالله أعلم .^(٦٩)

(٦٧) راجع حديث النواس بن سمعان عند مسلم (٢٩٣٧) (١١٠) (١١١) .
وأما قوله : « ويكسر الصليب ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين » ففي حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥) (٢٤٢) .
وعندهما : « ... حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » .
واللفظ الذي ذكره الشيخ عزاه الحافظ في الفتح (٤٩٢/٦) لابن مردويه .
وأما قوله : « ويحج ويعتمر » فعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :
« والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنيئهما » كتاب الحج : باب
إهلال النبي ﷺ وهدية (١٢٥٢) (٢١٦) .

(٦٨) حديث صحيح : رواه أحمد (٩٢٥٩) وأبو داود (٤٣٢٤) وابن حبان (٢٧٧/٨)
والحاكم (٥٩٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وابن أبي شيبه (١٥٨/١٥) وابن جرير (٣٨٨/٩)
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٦٩) البخاري في التاريخ الكبير (٢٦٣/١) والترمذي (٣٦١٧) والآجزي في الشريعة
(ص ٣٨١) من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن
جده قال مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم يدفن معه .
قال البخاري : هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن
غريب . وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٦/٨) : في سنده عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه
أبو داود . وقال الحافظ في الفتح (٦٦/٧) وروى عنها - أي عائشة - في حديث لا يثبت أنها
استأذنت النبي ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه فقال لها : وأنى لك بذلك وليس في ذلك
الموضع إلا قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم ، وفي أخبار المدينة من وجه ضعيف عن
سعيد بن المسيب قال : « إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى
بن مريم » أ.هـ .

٣ - (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان أو عريان مشتقان من المأج وهو الاضطراب أو من أجيح النار وتلهبها .

وهما أمتان من بنى آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة .

قال الله تعالى فى قصة ذى القرنين :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ۚ قَالُوا إِنَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا
عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف : ٩٣ ، ٩٤] الآيات .

وقال النبى ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ قُمْ فَأَبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ
ذُرِّيَّتِكَ » إلى أن قال رسول الله ﷺ : « ابْشُرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ وَاحِدًا وَمِنْ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ أَلْفًا » أخرجاه فى الصحيحين . (٧٠)

وخروجهم الذى يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد ولكن بوادره وجدت
فى عهد النبى ﷺ فقد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمِ
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ وَحُلِقَ بِأَصْبَعِهِ الْإِبْهَامُ وَالَّتِى تَلِيهَا » . (٧١)

وقد ثبت خروجهم فى الكتاب والسنة .

(٧٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب قوله عز وجل ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٥٣٠)

ومسلم : كتاب الإيمان : باب قوله : يقول الله لادم أخرج بعث النار ... (٢٢٢)
(٣٧٩) من حديث أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه . ولفظه عندهما : « يقول : أخرج بعث
النار ... » وفى لفظ للبخارى (٦٥٢٩) : « أخرج بعث جهنم من ذُرِّيَّتِكَ » وهذا اللفظ قريب
من اللفظ الذى ذكره الشيخ صالح العثيمين .

(٧١) البخارى : كتاب الفتن : باب يأجوج ومأجوج (٧١٣٥)

ومسلم : كتاب الفتن . باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠) (٢) .
من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها .

قال الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾

[الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ »
فذكر : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم
ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالشرق . وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » رواه
مسلم^(٧٢) وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال في عيسى ابن
مريم بعد قتله الدجال « فبينما هو كذلك إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى أُنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا
لِي لَا يُدَانُ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ طَبْرِيَةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ
آخِرُهُمْ وَيَقُولُ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةٌ مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى جَبَلٍ الْحُمْرِ وَهُوَ
جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فيقولون لقد قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمْ فَلَنَقْتُلَنَّ مَنْ فِي السَّمَاءِ
فَيَرْمُونَ بِنَشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَشَابِهِمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وَيَحْضُرُ نَبِيُّ اللَّهِ
وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ
نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى
كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ
مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنَهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ
عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَغْنَاكِ الْبَحْثِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ » رواه مسلم^(٧٣) .

(٧٢) مسلم : كتاب الفتن : باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١) (٣٩) .
من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه .

(٧٣) مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧) (١١٠) .
وراجع تعليق النووي على غريب الحديث في رياض الصالحين حديث (١٨١٧) .

٤ - (خروج الدابة) ... الدابة لغة : كل ما دب على الأرض . والمراد بها هنا الدابة التي يُخرجها الله قرب قيام الساعة ... وخروجها ثابت بالقرآن والسنة .
قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّهَا لَن تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ وَذَكَرَ مِنْهَا الدَّابَّةُ » رواه مسلم . (٧٤)

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر . وظاهر القرآن إنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم .

٥ - (طلوع الشمس من مغربها) : طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة . قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ
أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨]

والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ :

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾

[الأنعام : ١٥٨]

متفق عليه . (٧٥)

(٧٤) تقدم تخريجه ص (١٠٩) .

(٧٥) البخارى : كتاب التفسير من سورة الأنعام : باب ﴿ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾

(٤٦٣٦) ومسلم : كتاب الإيمان : باب الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان (١٥٧) (٢٤٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

[٥٨] وعذاب القبر ونعيمه حق ، وقد استعاذ النبي ﷺ منه ، وأمر به في كل صلاة .

[٥٩] وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، والبعث بعد الموت حق ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور :
﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾

[يس : ٥١]

..... الشرح

فتنة القبر :

الفتنة لغة : الاختبار وفتنة القبر سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه .

وهي ثابتة بالكتاب والسنة . قال الله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ﴾

[إبراهيم : ٢٧]

وقال النبي ﷺ : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » . فذلك قوله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ﴾

[إبراهيم : ٢٧]

متفق عليه . (٧٦) .

(٧٦) البخارى : كتاب الجنائز : باب ماجاء في عذاب القبر (١٣٦٩) .

ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه
(٢٨٧١) (٧٣) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

والسائل ملكان لقول النبي ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ قَالَ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ » . رواه مسلم . (٧٧)
 واسمهما « مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ » كما رواه الترمذى عن أنس بن مالك مرفوعاً وقال حسن غريب .. قال الألبانى وسنده حسن وهو على شرط مسلم (٧٨) ، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح وفي غير المكلفين خلاف . وظاهر كلام ابن القيم فى كتاب (الروح) ترجيح السؤال . ويستثنى من ذلك الشهيد لحديث رواه النسائى (٧٩) ، ومن مات مرابطاً فى سبيل الله لحديث رواه مسلم . (٨٠)

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصرح السنة وإجماع أهل السنة قال الله تعالى فى سورة الواقعة :

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾

[الواقعة : ٨٣ ، ٨٤]

-
- (٧٧) البخارى : كتاب الجنائز : باب الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨) .
 ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠) (٧٠) من حديث أنس رضى الله عنه .
 (٧٨) حديث حسن : الترمذى (١٠٧١) وابن حبان (٧٨٠ - موارد) وابن أنس عاصم فى السنة (٨٦٤) وقال الترمذى : حسن غريب وحسنه الألبانى فى ظلال الجنة فى تخرىج السنة (٨٦٤) وقال فى الصحيحة (١٣٩١) : « إسناده جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم » .
 (٧٩) حديث صحيح : أخرجه النسائى (٢٧٩/١) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله : ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ فى قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى بيارقة السيوف على رأسه فتنة » .
 وقال الألبانى فى أحكام الجنائز ص (٣٦) : « وسنده صحيح » أ.هـ .
 (٨٠) مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الرباط فى سبيل الله عز وجل : (١٩١٣) (١٦٣) من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه .

إلى قوله :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾

[الواقعة : ٨٨ ، ٨٩] الخ .. السورة ...

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر وأمر أمته بذلك^(٨١) . وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال في المؤمن : « فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مُدٌّ بِصَرِّهِ » وقال في الكافر : « فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ » . الحديث رواه أحمد وأبوداود .^(٨٢) وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح) وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو ونرد عليهم بأمرين :

١ - دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك .

٢ - إن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا .

(٨١) مسلم : كتاب المساجد : باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٩٠) (١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ... » الحديث .

وفي الباب عن عائشة : عند البخارى (١٠٤٩) ومسلم (٩٠٣) (٨)

وعن أنس بن مالك : عند مسلم (٥٨٨) (١٣٠) .

وزيد بن ثابت : عند مسلم (٢٨٦٧) (٦٧) .

(٨٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد في المسند (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وأبوداود (٤٧٥٣) . وقد ساقه الألبانى حفظه الله سياقاً واحداً ضاماً إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في شيء من طرقه الثابتة فليراجع .

قال الحافظ في الفتح (٢٨٢/٣) : « وهو أتم الأحاديث سياقاً » أ.هـ .

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب » (٨٣) .

النفخ في الصور :

النفخ معروف . والصور لغة : القرن . وشرعاً : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش وهما نفختان إحداهما : نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله . والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم .

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال الله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾

[الزمر : ٦٨]

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾

[يس : ٥١]

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صُعِقَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الظُّلُّ أَوْ الظِّلُّ (شك الراوى) فَتَنْبُثُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ » رواه مسلم في حديث طويل .

وقد اتفقت الأمة على ثبوته .

(٨٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٨٢) .

[٦٠] ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما ، فيقفون في موقف القيامة ، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ويحاسبهم الله تبارك وتعالى ، وتنصب الموازين ، وتنشر الدواوين ، وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمالك :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴾

[الإنشقاق : ٧-١٢]

..... الشرح

البعث والحشر :

البعث لغة : الإرسال والنشر، وشرعاً : إحياء الأموات يوم القيامة .
والحشر لغة : الجمع وشرعاً جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .
والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين قال الله تعالى :
﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾

[التغابن : ٧]

وقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

[الواقعة : ٤٩ ، ٥٠]

وقال النبي ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقْيِ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ » . متفق عليه^(٨٤) .

(٨٤) البخارى : كتاب الرقاق : باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢١)
ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار : باب فى البعث والنشور ... (٢٧٩٠) (٢٨)
من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه .

« بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ : أى غير شديدة البياض ، يضرب إلى الحمرة .

والقرصة : الرغيف . والنقى : الدقيق المنخول المنظف .

ليس فيها عِلْمٌ لِأَحَدٍ : ليس بها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر .

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة .

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم عراة لا كسوة عليهم غرلا لا ختان فيهم
لقوله تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]

وقول النبي ﷺ : « إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قُرَأَ :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾

[الأنبياء : ١٠٤]

وأول من يُكسَى إبراهيم « متفق عليه ^(٨٥) . وفي حديث عبدالله بن أنيس المرفوع
الذى رواه أحمد : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قُلْنَا وَمَا بُهْمًا ؟ قَالَ
لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ » الحديث ^(٨٦) .

(٨٥) البخارى : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣٣٤٩) .

ومسلم : كتاب الجنة : باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢٨٦٠) (٥٨) .

(٨٦) حديث حسن : تقدم تخريجه ص (٧٤) .

الحساب :

الحساب لغة : العدد ، وشرعاً : إطلاع الله عباده على أعمالهم .

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَآئِيَا بِهِمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّا عَنَّا حِسَابَهُمْ ﴾

[الغاشية : ٢٥ ، ٢٦]

وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته : « .. اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً »
فقالت عائشة رضي الله عنها ما الحِسَابُ اليسير ؟ قال : « أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ » رواه أحمد . وقال الألباني إسناده جيد . (٨٧)

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة .

وصفة الحساب للمؤمن «أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله له سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته .
وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » متفق عليه من حديث ابن عمر (٨٨) .

(٨٧) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٤٨/٦) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٨٨٥) واللفظ لأحمد .

وقال الألباني في تخريج السنة (٤٢٩/٢) : « إسناده صحيح » أ.هـ .

وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري (١٠٣) ، (٦٥٣٦) ، (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦) (٧٩) عنها بلفظ : « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك . قلت : أو ليس يقول الله ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴾ [الأنشاق : ٨] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك » .

(٨٨) البخاري : كتاب المظالم : باب قول الله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ (٢٤٤١) .

ومسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨) (٥٢) . من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم « سبعون ألفاً » من هذه الأمة مِنْهُمْ عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب متفق عليه^(٨٩) . وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً « أن مع كل واحد سبعين ألفاً » قال ابن كثير حديث صحيح وذكر له شواهد^(٩٠) .

(٨٩) البخارى : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤١) .
ومسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠) (٣٧٤) . من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .
وفى الباب : عن أنس بن مالك رضى الله عنه : عند البخارى (٥٨١١) (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) (٣٦٧) وعن عمران بن حصين رضى الله عنه : عند مسلم (٢١٨) (٣٧١) .

(٩٠) حسن : حديث ثوبان عند الطبرانى فى الكبير (١٤١٣) وأحمد (٢٨٠/٥) ،
٢٨١) من طريق محمد بن اسماعيل الحمصى حدثنى أنس بن مالك عن زرعة عن شريح بن عبيد
عن أنس بن مالك عن ثوبان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ربي عز وجل وعدنى من
أمتى سبعين ألفاً لا يحاسبون مع كل ألف سبعين ألفاً » وسكت عنه الهيثمى فى المجمع (٤٠٧/١٠)
ولم يتكلم عليه بشئ . مع أن فيه محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصى .

قال أبوداود لم يكن بذاك وقال أبوحاتم لم يسمع من أبيه شيئاً راجع التهذيب (٥١/٩) ،
٥٢) والمغنى فى الضعفاء للذهبي (٥٥٥/٢) . وللحديث شواهد كثيرة ذكرها ابن كثير فى
النهاية (٣٢٢ : ٣٣٠) منها حديث أنس عند البزار فيه أبو عاصم العبادانى لين الحديث كما فى
التقريب . ومنها : حديث أنس بن مالك : عند أحمد (٢٦٨/٥) والترمذى (٣٤٣٧) وابن ماجه
(٤٢٨٦) وصححه ابن حبان (٢٦٤٢ - موارد) .

ومنها : حديث أنس بن مالك الخدرى عند ابن أنس فى السنة (٨١٤) وضعف إسناده
الألبانى فى تخرىج السنة (٣٨٥/٢) . وغير ذلك من الشواهد وراجع النهاية لابن كثير .
وبالجملة فالحديث حسن على أقل أحواله بهذه الشواهد .

وأول من يحاسب هذه الأمة لقول النبي ﷺ « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ » متفق عليه (٩١) ، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً « نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ » الحديث (٩٢).

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبي ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ » رواه الطبراني في الأوسط وسنده لا بأس به إن شاء الله ، قاله المنذرى في الترغيب والترهيب (٩٣) ص (٢٤٦) ج (١) وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبي ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » متفق عليه (٩٤).

[٦١] والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال :

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿

[المؤمنون : ١٠٢-١٠٣]

(٩١) الحديث بهذا اللفظ : عند مسلم كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٦) (٢٢) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضى الله عنهما ولفظه عند البخارى (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) (٢١) : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا » من حديث أبي هريرة .

(٩٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٠) وأحمد (٢٨٢/١ ، ٢٧٤/٢ ، ٣٤٢) والبيهقى في دلائل النبوة (٤٨٢/٥) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال البوصيرى في الزوائد (٣١٧/٣) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » ، وصححه الشيخ الألبانى .

(٩٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذى (٤١٣) والنسائى (٢٣٢/١) وابن ماجه (١٤٢٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وصححه الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥/١) .

(٩٤) البخارى : كتاب الديات : باب قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ (٦٨٦٤) . ومسلم : كتاب القسامة : باب المجازاة بالدماء فى الآخرة . (١٦٧٨) (٢٨) . من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

..... الشرح

الموازين :

الموازين جمع ميزان وهو لغة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً، وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف . قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿

[المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣]

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

[الأنبياء : ٤٧]

وقال النبي ﷺ : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه^(٩٥) وأجمع السلف على ثبوت ذلك .

وهو ميزان حقيقى له كفتان لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال : « فَتَوْضَعُ السُّجُلَاتِ فِي كَفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ » الحديث رواه الترمذى وابن ماجه قال الألبانى إسناده صحيح^(٩٦) .

(٩٥) البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧٥٦٣) .

ومسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل التهليل ... (٢٦٩٤) (٣١) . من حديث أنى هريرة رضى الله عنه وهو خاتمة صحيح البخارى .

(٩٦) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٢١٣/٢) والترمذى (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وإسناده صحيح . وقد صححه ابن حبان (٢٥٢٤) والحاكم (٦/١) (٥٢٩) ووافقه =

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد ؟
 فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد في القرآن
 إلا مجموعاً ، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس .
 وقال بعضهم : هو ميزان واحد لأنه ورد في الحديث مفرداً ، وأما جمعه في
 القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل والله أعلم .
 والذي يُوزَنُ العمل لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها وقيل صحائف العمل
 لحديث صاحب البطاقة وقيل العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
 « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزُنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ » وقال
 اقرأو :

﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾

[الكهف : ١٠٥] متفق عليه . (٩٧)

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة
 للصحائف وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه
 للأعمال وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمة . وهذا جمع حسن والله
 أعلم .

نشر الدواوين :

النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشئ، وشرعاً : إظهار صحائف الأعمال يوم
 القيامة وتوزيعها .

= الذهبي ، وحسنه الترمذی . وصححه الألبانی فی الصحيحة (١٣٥) ، وقال : « والأحاديث في
 ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة » أ.هـ .

(٩٧) البخاری : كتاب التفسير من سورة الكهف : باب ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
 رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ (٤٧٢٩) .

ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥) (١٨) .

والدواوين جمع ديوان وهو لغة : الكتاب يُخصَى فيه الجند ونحوهم ، وشرعاً :
الصحائف التى أُخصِيت فيها الأعمال التى كتبها الملائكة على العامل . فنُشر الدواوين
إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتطير إلى الأيمان والشمائل وهو ثابت بالكتاب
والسنة وإجماع الأمة .

قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۚ ۞
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۚ ۞
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۚ ۞ ﴾

[الانشقاق : ٧-١٢]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوْتِيَ كِتَابِيَةً ۚ ۞ ﴾

[الحاقة : ٢٥]

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبی ﷺ : « هل تُذكرون أهلِيكم ؟ »
قال : أمّا فى ثلاثة مَواطِن فلا يذكُر أحدٌ أحدًا : عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُ مِيزَانُهُ
أَمْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ تَطَايِرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ فِى يَمِينِهِ أَمْ فِى شِمَالِهِ أَمْ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ ، رواه أبو داود والحاكم
وقال صحيح على شرطهما . (٩٨)

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك .

(٩٨) أخرجه أبوداود (٤٧٥٥) والحاكم فى المستدرک (٥٧٨/٤) والآجرى فى الشريعة
(٣٨٥) من طرق عن الحسن عن عائشة . وذكره الشيخ الألبانى فى ضعيف أبى داود .
وقال الحاكم : صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة ،
وأقره الذهبى .
وللحديث طريق آخر رواه أحمد (١١٠/٦) من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران
عن القاسم بن محمد عن عائشة .
وقال الهيثمى فى المجمع (٣٥٩/١٠) : « عند أبى داود طرف منه رواه أحمد وفيه ابن لهيعة
وهو ضعيف وقد وثق ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح » .

صفة أخذ الكتاب :

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول :

﴿ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَّةَ ﴾

[الحاقة : ١٩]

والكافر يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول :

﴿ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةَ ﴿٢٥١﴾ وَلَرَأَدَرِ مَا حِسَابِيَّةَ ﴾

[الحاقة : ٢٥ ، ٢٦]

[٦٢] ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

..... الشرح

الحوض :

الحوض لغة : الجمع يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه ، ويطلق على مجتمع الماء .

وشرعاً : حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ .

ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة .

قال النبي ﷺ : « إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » متفق عليه (٩٩) .

(٩٩) البخارى : كتاب الرقاق : باب في الحوض (٦٥٨٣) ، (٦٥٨٤) .

ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٢٢٩٠) (٢٦) ، (٢٢٩١)

(٢٦) من حديث سهل بن سعد وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . =

واجمع السلف أهل السنة على ثبوته ، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض ونرد عليهم بأمرين :

١ - الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ .

٢ - إجماع أهل السنة على ذلك .

صفة الحوض :

طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء وآنيته كنجوم السماء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والثاني من فضة يرده المؤمنون من أمة محمد ومن يشرب منه شربة لا يظلم بعدها أبداً وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما^(١٠٠) وهو موجود الآن لقوله

= • قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢٧٧/١) : « والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً رضي الله عنهم ولقد استقصى طرقها شيخنا عماد الدين ابن كثير تغمده الله برحمته في آخر تاريخه الكبير المسمى بالبداية والنهاية » أ.هـ وكذا انظر فتح الباري (٤٦٨/١١ ، ٤٦٩) .

وقوله : « إني فرطكم على الحوض » . أى متقدمكم إليه النهاية لابن الاثير (٤٣٤/٣) .

(١٠٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب في الحوض (٦٥٧٩) .

ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٩٢) (٢٧) . من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

والبخارى : كتاب الرقاق : باب في الحوض (٦٥٨٠) .

ومسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٣) (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

ومسلم : في المصدر نفسه (٢٣٠١) (٣٧) . من حديث ثوبان رضى الله عنه .

ﷺ : « وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُنْظُرُ إِلَى حَوْضِي آلَانَ » رواه البخارى (١٠١) واستمداده من الكوثر لقوله ﷺ : « وَأُعْطَانِي الْكَوْثَرُ وَهُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضٍ » . رواه أحمد . قال ابن كثير وهو حسن الإسناد والمتن . (١٠٢)

ولكل نبي حوض ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة لقول النبي ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ لَيَتَّبِعُونَهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً » . رواه الترمذى وقال غريب وروى ذلك ابن أبى الدنيا وابن ماجه من حديث أبى سعيد وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق . (١٠٣)

[٦٣] والصراط حق يَجُوزُهُ الْأَبْرَارُ ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الْفَجَارُ .

(١٠١) البخارى : كتاب الرقاق : باب فى الحوض (٦٥٩٠) .
من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه .

(١٠٢) نهاية البداية والنهاية (٢٤٤/٢) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(١٠٣) حديث صحيح : الترمذى (٢٤٤٣) من طريق الحسن عن سمرة
وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

قال الحافظ فى الفتح (٤٦٧/١١) : « وأشار - أبى الترمذى - إلى أنه اختلف فى وصله وإرساله وأن المرسل أصح . قلت : والمرسل أخرجه ابن أبى الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَوْضِهِ بِيَدِهِ عَصَا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَبَاهُونَ أَيْهِمْ أَكْثَرُ تَبَعًا » ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » وأخرجه الطبرانى من وجه آخر عن سمرة موصولاً ومرفوعاً مثله وفى سنده لين ، وأخرج ابن أبى الدنيا أيضاً حديث أبى سعيد رفعه « وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ » ، ولكل نبي حوض ، فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصابة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لا يأتيه أحد ، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » وفى إسناده لين . وإن ثبت فالختص بنبينا ﷺ الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره ، أ.هـ .

وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٥٨٩) .

..... الشرح

الصراط :

الصراط لغة: الطريق ، وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة ، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

[مريم : ٧١]

فَسَرَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها .

وقال النبي ﷺ : « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَجِلُ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » ، متفق عليه^(١٠٤) . واتفق أهل السنة على إثباته .

صفة الصراط :

سئل النبي ﷺ عن الصراط فقال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ عَلَيْهَا خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَخَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ يَنْجُدُ يُقَالُ لَهَا السُّعْدَانُ » رواه البخاري^(١٠٥) وله من حديث أبي هريرة : « وَبِهِ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السُّعْدَانِ غَيْرِ

(١٠٤) جز من حديث أبي سعيد الخدري الطويل الذي أخرجه :

البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يُؤْمِنُ نَاضِرَةٌ ﴾ (٧٤٣٩) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) (٣٠٢) .

* الجسر : بفتح الجيم وكسرهما لغتان مشهورتان وهو الصراط . شرح النووي لمسلم (٢٩/٣) .

(١٠٥) جزء من حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عند البخاري ومسلم .

أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ مَا قَدَّرَ عَظِيمُهَا إِلَّا اللَّهُ يَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ» (١٠٦) وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « بَلَّغْنِي أَنَّهُ أَذَقُ مِنَ الشَّعْرِ وَأَخَذُ مِنَ السَّيْفِ » (١٠٧) وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

العبور على الصراط وكيفيته :

• لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : « فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرُّكَّابِ فَتَنَاجٍ مُسْلِمٍ وَمَخْدُوشٍ مُرْسَلٍ وَمَكْدُوسٍ فِي جَهَنَّمَ » . متفق عليه (١٠٨) . وفي صحيح مسلم : « تَجْرَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَبَيِّكُمُ قَائِمٌ عَلَى الصَّراطِ يَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تُفْعِزَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَخْفًا » (١٠٩) . وفي صحيح البخاري : « حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا » (١١٠)

(١٠٦) البخاري : كتاب الرقاق : باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢) (٢٩٩) من حديث أبي هريرة مطولاً .

(١٠٧) ذكره الإمام مسلم في صحيحه عقب روايته لحديث أبي سعيد الخدري (١٨٣) (٣٠٢) المتقدم قال : « قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : بَلَّغْنِي أَنَّ الصَّراطَ أَخَذَ مِنَ السَّيْفِ وَأَذَقُ مِنَ الشَّعْرِ » وراجع تعليق الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٥٤/١١) على هذا البلاغ في بحث جيد .

(١٠٨) تقدم تخريجه ص (١٢٦) .

(١٠٩) مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٥) (٣٢٩) .

من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(١١٠) البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً ﴾ (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ومن الأمم أمته لقول النبي ﷺ : « فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » رواه البخارى . (١١١)

[٦٤] ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحمماً فيدخلون الجنة بشفاعته .

[٦٥] ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات . قال تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢٨] .

[٦٦] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .

..... الشرح

الشفاعة :

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً ، واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة والشفاعة يوم القيامة نوعان خاصة بالنبي ﷺ وعامة له ولغيره .

فالخاصة به ﷺ شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضى بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون فيذهبون إلى آدم فنوح وإبراهيم فموسى فعيسى وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبي ﷺ فيشفع فيهم إلى الله فيأق سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده .

(١١١) البخارى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٧٤٣٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصُّور المشهور لكن سنده ضعيف مُتَكَلِّم^(١١٢) فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر .

قال ابن كثير وشارح الطحاوية : وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة .

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج ويشترط فيها إذن الله لقوله تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾

[البقرة : ٢٥٥] .

النوع الثاني العامة : وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحميماً . لحديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ أَنَاسٌ أَوْ كَمَا قَالَ تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَيَمِيتُهُمْ إِمَاءَةً حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ » الحديث رواه أحمد .^(١١٣)

قال ابن كثير في النهاية ص (٢٠٤) ج (٢) وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه . .

وهذه الشفاعة تكون للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين لحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ وفيه : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ »

(١١٢) حديث ضعيف : وهو حديث طويل جداً في إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف ومحمد بن يزيد أوزياد : هو مجهول وقد أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤٦/٢) ، (١٤٨) عن الطبراني ، وقال : هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة ، وقد اختلف فيه ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، ونصَّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة وراجع النهاية لابن كثير (٢٥٣/١) .

(١١٣) أحمد في مسنده (٩٤/٣) .

وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا جِمَمًا « متفق عليه . (١١٤)

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة ونرد عليهم بما يأتي :

١ - أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ .

٢ - أنه مخالف لإجماع السلف .

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان :

الأول : إذن الله في الشفاعة لقوله تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾

[البقرة : ٢٥٥]

الثاني : رضا الله عن الشافع والمشفوع له لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾

[الأنبياء : ٢٨]

فأما الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى :

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

[المدثر : ٤٨]

أى لو فرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة .

وأما شفاعة النبي ﷺ لعمه أى طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلى منهما دماغه وإنه لأهون أهل النار عذاباً ، قال النبي ﷺ : « وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » رواه مسلم (١١٦) . فهذا خاص بالنبي ﷺ وبعمه

(١١٤) حديث أوى سعيد الخدرى تقدم تخريجه ص (١٢٦) .

(١١٥) مسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعة النبي ﷺ لأوى طالب والتخفيف عنه بسببه (٢٠٩) (٣٥٧) من حديث العباس بن عبدالمطلب أنه قال : يا رسول الله ! هل نفقت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .

أى طالب فقط وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه ، وعما جاء به .

* * *

[٦٧] الجنة والنار مخلوقتان لاتفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ،
والنار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون :
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ ٧٤ لَا يَفْتَرَعْنَهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿

[الزخرف : ٧٤ ، ٧٥]

..... الشرح

الجنة والنار :

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار، وشرعاً: الدار التى أعدها الله فى الآخرة للمتقين .

والنار لغة: معروفة، وشرعاً : الدار التى أعدها الله فى الآخرة للكافرين .

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى فى الجنة :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران : ١٣٣]

وفى النار :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ٢٤

[البقرة : ٢٤]

والإعداد: التهيئة ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف : « إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَّاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُوداً وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََت الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ مَنْظَراً قَطُّ أَفْطَعَ مِنْهَا » . متفق عليه (١١٦) .

(١١٦) البخارى : كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢) .

مسلم : كتاب الكسوف : باب ماعرض على النبي ﷺ فى صلاة الكسوف من أمر الجنة

والنار (٩٠٧) (١٧) من حديث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما .

والجنة والنار لا تفنيان لقوله :

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

[البينة : ٨]

والآيات في تأييد الخلود في الجنة كثيرة وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع في

النساء :

﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

[النساء : ١٦٨ ، ١٦٩]

وفي الأحزاب :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

[الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥]

وفي الجن :

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾

[الجن : ٢٣]

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ

مُبْلِسُونَ ﴾

[الزخرف : ٧٤ ، ٧٥]

مكان الجنة والنار :

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾

[المطففون : ١٨]

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر : « فَيَقُولُ الله عز وجل اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوه إلى الأرض » (١١٧) .

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ﴾

[المطففون : ٧]

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق : « فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى اكتبوا كتاب عبي في سجين في الأرض السفلى » (١١٨) .

أهل الجنة وأهل النار :

أهل الجنة كل مؤمن تقى لأنهم أولياء الله قال الله تعالى في الجنة :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران : ١٣٣]

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ، [الحديد : ٢١]

وأهل النار كل كافر شقى قال الله تعالى في النار :

﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

[البقرة : ٢٤]

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ ﴾

[هود : ١٠٦]

[٦٨] وَيُؤْتَى بِالْمُوتِ فِي صُورَةٍ كَبَشٍ أَمْلَحَ ، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : « يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتَ » .

(١١٧ ، ١١٨) تقدم تخريجه من حديث البراء بن عازب المشهور في أحوال الموقى وفتنة

القبر .

..... الشرح

ذبح الموت :

الموت زوال الحياة وكل نفس ذائقة الموت وهو أمر معنوى غير محسوس بالرؤية ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً وَيُذَبِّحُ بين الجنة والنار لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِى مُنَادِياً أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرِيُونَهُ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ ثُمَّ يُنَادِى يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرِيُونَهُ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيُذَبِّحُ ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ » ثم قرأ

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[مريم : ٣٩]

أخرجه البخارى فى تفسير هذه الآية (١١٩) ، وروى نحوه فى صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً (١٢٠) .

(١١٩) البخارى : كتاب التفسير من سورة مريم : باب ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ (٤٧٣٠) .

(١٢٠) البخارى : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨) .

فصل

حقوق النبي وأصحابه

[٦٩] ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته ، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته .

[٧٠] صاحب لواء الحمد والمقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .

..... الشرح

أفضل الخلق عند الله الرسل ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾

[النساء : ٦٩]

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم . وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في الأحزاب :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾

[الأحزاب : ٧]

وفي الشورى :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾

[الشورى : ١٣]

وأفضلهم محمد ﷺ لقوله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه^(١٢١) . وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة .

ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل ثم موسى لأنه أفضل أنبياء بنى إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية .

خصائص النبي ﷺ

اختص النبي ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها :

١ - خاتم النبيين لقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب : ٤٠]

٢ - سيد المرسلين وسبق دليله .

٣ - لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته لقوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

[النساء : ٦٥]

(١٢١) البخارى : كتاب التفسير من سورة بنى إسرائيل : باب ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ جَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ... ﴾ (٤٧١٢) .

ومسلم : كتاب الإيمان . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) (٣٢٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

الآية وغيره من الأنبياء يُبعثون إلى أقوام معينين كُلُّ إلى قومه .

٤ - لا يُقضى بين الناس إلا بشفاعته وسبق دليل ذلك في الشفاعة .

٥ - سَبَقُ أُمَّةِ الْأُمَمِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَسَبَقُ . (١٢٢) .

٦ - صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته .
لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ وَيَبْدَى لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرٌ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرٌ » . رواه الترمذي وقد روى الأولى والأخيرة مسلم . (١٢٣) .

٧ - صاحب المقام المحمود أى العمل الذى يحمده عليه الخالق والمخلوق لقوله

تعالى :

﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾

[الإسراء : ٧٩]

وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها .

٨ - صاحب الحوض المورود والمراد الحوض الكبير الكثير واردوه أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضاً .

(١٢٢) تقدم تخريجه ص (١١٩) .

(١٢٣) حديث صحيح : الترمذي (٣١٤٨) (٣٦١٥) وقال : « حسن صحيح »
وأيضاً ابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الألبانى فى
الصحيحه (١٥٧١) وأما رواية مسلم فمن حديث أبى هريره : كتاب الفضائل : باب تفضيل
نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨) (٣) . بلفظ « أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ
يُنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » .

٩-١١-٠ - إمام النبیین وخطیبهم وصاحب شفاعتهم لحديث أُمی بن کعب أن النبی ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُمْ وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ » رواه الترمذی وحسنه (١٢٤) .

١٢ - أُمته خير الأمم لقوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[آل عمران : ١١٠]

فأما قوله تعالى :

﴿ يَبْنَئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ ﴾

[البقرة : ٤٧]

فالمراد عالمي زمانهم .

[٧١] وأفضل أُمته أبوبكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، رضى الله عنهم أجمعين ، لما روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كنا نقول والنبي ﷺ حى : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان^(٥) ، ثم علي ، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » (١٢٥) .

[٧٢] وصحت الرواية عن علي رضى الله عنه أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، ولو شئت لسميت الثالث » (١٢٦) .

(١٢٤) حديث حسن : أخرجه أحمد (١٣٧/٥ ، ١٣٨) والترمذى (٣٦١٥) وقال : حديث حسن ، وابن ماجه (٤٣١٤) والحاكم (٧١/١) ، (٧٨/٤) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبى وحسنه الألبانى فى تخرىج المشكاة (٥٧٦٨) .

(٥) قال المعلق على طبعة السلفية ص (٢٥): اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة فى طبعة دمشق . سنة ١٣٣٨ وطبعة المنار سنة ١٣٤٠ . وزيد فى ضبعتى ١٣٥١ ، ١٣٥٥ : «ثم على» ا.هـ . (١٢٥) يأتى التعليق على هذا الأثر ص (١٤٢) .

(١٢٦) أثر صحيح : أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٠٦/١ ، ١١٠) وابنه عبدالله فى زوائده (١٠٦/١ ، ١١٠ ، ١٢٧) وأحمد فى فضائل الصحابة (٣٩٧) بأسانيد صحيحة وحسنه =

[٧٣] وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال : « مَا طَلَعَت الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » (١٢٧) .

[٧٤] وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضى الله عنهم ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة .

[٧٥] ثم من بعده عمر رضى الله عنه ، لفضله وعهد أى بكر إليه .

[٧٦] ثم عثمان رضى الله عنه لتقديم أهل الشورى له .

[٧٧] ثم على رضى الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

[٧٨] وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » (١٢٨) .

= وكذا أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة (١٢٠١) وصححه الألبانى فى تخرىج السنة (٥٧٠/٢) .

(١٢٧) إسناده ضعيف : أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٣٥) وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٢٤) وأبونعيم (٣٢٥/٣) من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف فيه عنقه بقية وعنقه ابن جريج وهما مدلسان وكذا ذكره الهيثمى فى المجمع (٤٤/٩) من حديث أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وقال وفيه بقية وهو مدلس وبقية رجاله وثقوا . وكذا فيه عبدالله بن سفيان الخزازى الواسطى قال العقيل لا يتابع على حديثه وراجع التعليق على الآثار فى تخرىج فضائل الصحابة للإمام أحمد بتحقيق وصي الله بن محمد بن عباس (١٥٢/١ ، ١٥٣) .

(١٢٨) حديث صحيح : تقدم تخرىجه من حديث العرباض بن سارية ص (٣٩) .

[٧٩] وقال ﷺ : « الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً » (١٢٩) .
فكان آخرها خلافة على رضى الله عنه .

..... الشرح

فضائل الصحابة

الصحابى من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك .
وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء لقول النبي ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي » (١٣٠) ، الحديث رواه البخارى وغيره .

(١٢٩) حديث صحيح : أخرجه أبوداود (٤٦٤٦) ، (٤٦٤٧) والترمذى (٢٢٢٦) وحسنه ، والنسائى فى فضائل الصحابة (٥٢) والحاكم (٧١/٣ ، ١٤٥) وصححه ووافقه الذهبى . وأحمد فى مسنده (٢٢٠/٥ ، ٢٢١) وفى فضائل الصحابة (٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ١٠٢٧) وابن حبان (١٥٣٤ ، ١٥٣٥) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٦٢/٢) والطبرانى فى الكبير (١٣) ، (١٣٦ ، ٦٤٤٢) والطيالسى (١١٠٧) والبيهقى فى دلائل النبوة (٣٤/٦) من طرق عن سفينة أبى عبدالرحمن مولى رسول الله ﷺ به . وإسناده حسن وله شواهد ترفعه إلى مرتبة الصحيح لغيره ولذ صححه وقواه غير واحد من أهل العلم منهم الإمام أحمد والترمذى وابن جرير الطبرى وابن أبى عاصم وابن حبان والحاكم وابن تيمية والذهبى والحافظ ابن حجر العسقلانى وراجع الصحيحة للألبانى فى بحث جيد (٤٥٩) للرد على من ضعف الحديث .

(١٣٠) البخارى : كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥١) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ... (٢٥٣٣) .
(٢١٢) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفى الباب عن عمران بن حصين : عند البخارى (٢٥٦١) ، (٣٦٥٠) ، (٦٤٣٨) ، (٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥)

وعن أبى هريرة : عند مسلم (٥٣٤) (٢١٢) . وغيرهم

وهو حديث متواتر صرح بتواتره الحافظ ابن حجر فى مقدمة الإصابة .

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة ثم الأنصار .
وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي
الله عنهم .

فأبو بكر هو الصديق : عبدالله بن عثمان بن عامر من بنى تيم بن مرة بن
كعب أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وصاحبه في الهجرة ونائبه في الصلاة
والحج وخليفته في أمته أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان والزبير وطلحة
وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن
٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة هم الثمانية
الذين سبقوا الناس بالإسلام . قاله ابن إسحاق يعنى من المذكور بعد الرسالة .

وعمر : هو أبوحفص الفاروق عمر بن الخطاب من بنى عدى بن كعب بن
لؤى ، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة
ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده . استخلفه أبوبكر على الأمة فقام بأعباء
الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً في ذى الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة .

وعثمان: هو أبو عبدالله ذو النورين عثمان بن عفان من بنى أمية بن عبدشمس بن
عبدمناف . أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم كان غنياً سخياً تولى الخلافة بعد
عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً في ذى الحجة سنة
٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال .

وعلي : وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب ، واسم أبي طالب عبد مناف بن
عبدالمطلب أول من أسلم من الغلمان ، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح
الله على يديه وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما فكان هو الخليفة شرعاً إلى
أن قتل شهيداً في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة .

● وأفضل هؤلاء الأربعة أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان » رواه البخارى (١٣١) ولأبي داود : « كنا نقول ورسول الله ﷺ حَيٌّ : أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان » زاد الطبراني في رواية : « فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » هذا ولم أجد اللفظ ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب . (١٣٢)

● وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبوبكر رضى الله عنه لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام ولأن النبي ﷺ قدمه في الصلاة ولأن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة ثم عمر رضى الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه . ثم عثمان رضى الله عنه لفضله وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت :

علي وعثمان وسعد وطلحة زبير وذو عوف رجال المشورة .

(١٣١) البخارى : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ (٣٦٥٥) وفي لفظ للبخارى (٣٦٩٧) : « كنا في زمن النبي ﷺ لانعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لانفاضل بينهم » .

(١٣٢) إسناده صحيح : أبوداود (٤٦٢٨) والترمذى (٣٧٠٧) وابن أبي عاصم في السنة (١١٩٠) وإسناده صحيح كما قال الألبانى في تخرىج السنة (٥٦٧/٢) .

وأما الزيادة التى ذكرها الشيخ العثيمين عند الطبراني وهى : « فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » فهى زيادة صحيحة ثابتة من طرق كثيرة عند ابن أبي عاصم في السنة (١١٩٤) ، (١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧) وأحمد (١٤/٢) وغيرهم بأسانيد صحيحة وراجع تخرىج السنة لابن أبي عاصم (٥٦٨/٢ ، ٥٦٩) وكذا فتح البارى (١٦/٧ ، ١٧) .

ثم على : رضى الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ :
« عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » (١٣٣) .

وقال : « الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً » . رواه أحمد وأبو داود والترمذي قال
الألباني : وإسناده حسن . فكان آخرها خلافة على هكذا قال المؤلف وكأنه جعل
خلافة الحسن تابعة لأبيه أو لم يعتبرها حيث أنه رضى الله عنه تنازل عنها .

● فخلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٢ ربيع
الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ .

● وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣
جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣هـ .

● وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة
٢٤هـ إلى ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥هـ .

● وخلافة على رضى الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذى الحجة سنة
٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ .

فجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام .
ثم بويق الحسن بن على رضى الله عنهما يوم مات أبوه على رضى الله عنه وفى
ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ فى قوله :
« الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً » وقوله فى الحسن : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ
بِهِ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . رواه البخارى (١٣٤)

(١٣٣) تقدم تخريجه ص (٣٩) .

(١٣٤) البخارى : كتاب الصلح : باب قول النبي ﷺ للحسن بن على ... (٢٧٠٤)
من حديث أبى بكر رضى الله عنه ضمن رواية مطولة .

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ولد في ١٥ رمضان سنة ٣ ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول ٥٠ هـ .

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد في شعبان سنة ٤ هـ وقُتل في كربلاء في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار قُتل شهيداً يوم اليمامة سنة ١١ هـ في آخرها أو أول سنة ١٢ هـ .

[٨٠] ونشهد للعشرة بالجنة ، كما شهد لهم النبي ﷺ فقال : « أَبُوبَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ » .

[٨١] وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها ، كقوله : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . وقوله لثابت بن قيس : « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

[٨٢] ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نارٍ ، إلا من جزم له الرسول ﷺ لكننا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء .

..... الشرح

الشهادة بالجنة أو بالنار

الشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له ومن لا فلا لكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .

وتنقسم الشهادة بالجنة أو بالنار إلى قسمين عامة وخاصة .

فالعامة : هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار .

والخاصة : هي المعلقة بشخص : مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله .

المعينون من أهل الجنة

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم : العشرة المبشرون بالجنة وخصّوا بهذا الوصف لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال : « أبوبكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبدالرحمن ابن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » رواه الترمذي وصححه الألباني . (١٣٥)

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة وأما الباقيون فجمعوا في هذا البيت :

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فھر والزبير الممدّح

فطلحة : هو ابن عبيدالله من بنى تيم بن مرة أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ عن ٦٤ سنة .

(١٣٥) حديث صحيح : أخرجه أبوداود (٤٦٤٩) ، (٤٦٥٠) والترمذي (٣٧٤٨) و(٣٧٥٧) وابن ماجه (١٣٤) وأحمد (١٨٧/١ ، ١٨٨ ، ١٨٩) وفي فضائل الصحابة (٨٧) ، ٩٠ ، ٢٢٥) وابن أبي عاصم (١٤٢٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٦) والحاكم (٤٤٠/٤) والنسائي في الفضائل (٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٦) وأبونعيم (٩٥/١) وغيرهم من حديث سعيد بن زيد مرفوعاً وإسناده صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٠١٠) .

وفي الباب عن عبدالرحمن بن عوف : أخرجه الترمذي (٣٧٤٨) وأحمد (١٩٣/١) وفي الفضائل (٢٧٨) والنسائي في الفضائل (٩١) والبيهقي في شرح السنة (٣٩٢٥) بإسناد صحيح .

والزبير : هو ابن العوام من بنى قصى بن كلاب ابن عمة رسول الله ﷺ
انصرف يوم الجمل عن قتال على فلقية ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦
عن ٦٧ سنة .

وعبدالرحمن بن عوف : من بنى زهرة بن كلاب توفى سنة ٣٢ هـ عن ٧٢
سنة ودفن بالبقيع .

وسعد بن أبى وقاص : هو ابن مالك من بنى عبد مناف ابن زهرة أول من
رَمَى بسهم في سبيل الله مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن
بالبقيع سنة ٥٥ هـ عن ٨٢ سنة .

وسعيد بن زيد : هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى كان من السابقين إلى
الإسلام توفى بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١ هـ عن بضع وسبعين سنة .

أبو عبيدة : هو عامر بن عبدالله بن الجراح من بنى فهر من السابقين إلى
الإسلام توفى في الأردن في طاعون عَمَواس سنة ١٨ عن ٥٨ سنة .

● وممن شهد له النبي ﷺ بالجنة الحسن والحسين وثابت بن قيس .

قال النبي ﷺ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » رواه
الترمذى . وقال حسن صحيح (١٣٦) .

(١٣٦) حديث صحيح : أخرجه الترمذى (٣٧٦٨) وأحمد (١٦٦/٣ ، ١٦٧)
والنسائى في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٣٩٠/٣) وابن حبان (٢٢٢٨-موارد) والحاكم .
(١٦٦/٣ ، ١٦٧) والخطيب في تاريخ (٢٠٧/٤ ، ٩٠/١١) وأبونعيم في الحلية (٧١/٥) من
حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقال الترمذى : حديث « حسن صحيح » .

وقال الألبانى في الصحيحة (٧٩٦) « وهو كما قال « أ.هـ وأورد له طرق كثيرة عن جمع
من الصحابة ثم قال « وبالجملة فالحديث صحيح بلاريب ، بل متواتر كما نقله المناوى « أ.هـ .

وقال ﷺ في ثابت بن قيس : « إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ » رواه البخارى (١٣٧) .

الْمُعَيَّنُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ

● من المعينين بالقرآن أبو لهب عبدالعزيز بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وامرأته
أم جميل أزوى بنت حرب بن أمية أخت أوى سفيان لقوله تعالى :

﴿ نَبَتْ يَدَا أَبِي لَهُبٍ وَتَبَّ ﴾

[المسد : ١] إلى آخر السورة .

● ومن المعينين بالسنة أبوطالب عبدمناف بن عبدالمطلب لقول النبي ﷺ :
« أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُوطَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ » ، رواه
البخارى (١٣٨) .

(١٣٧) البخارى : كتاب المناقب : باب علامات النبوة (٣٦١٣) .

ومسلم : كتاب الإيمان : باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩) (١٨٧) من حديث
أنس رضى الله عنه .

(١٣٨) أخرجه بهذا اللفظ :

مسلم : كتاب الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً (٢١٢) (٣٦٢) من حديث ابن
عباس رضى الله عنهما .

وأخرجه البخارى (٦٥٦١) ومسلم (٢١٣) (٣٦٤) من حديث النعمان ابن بشير
بلفظ : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان ، يغلى منهما
دماغه » .

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي قال النبي ﷺ : « رَأَيْتُهُ يَجْرُ أُمْعَاءَهُ فِي النَّارِ » . رواه البخاري وغيره (١٣٩) .

[٨٣] وَلَا نَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ .

[٨٤] وَنَرَى الْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَصَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةً .

[٨٥] قَالَ أَنَسٌ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ : الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا نُكْفِرُهُ بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ وَالْجِهَادِ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَالَ ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ » . رواه أبو داود (١٤٠) .

(١٣٩) البخاري : كتاب التفسير من سورة المائدة : باب ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِةٍ ... ﴾ (٤٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجْرُ قُصْبَتُهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَبَّ السَّوَابِ » . وفي الباب عن جابر في حديث الكسوف الطويل وفيه « وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرًا بَيْنَ مَالِكٍ يَجْرُ قُصْبَتُهُ فِي النَّارِ » أخرجه مسلم (٩٠٤) (٩) .
وقُصْبَتُهُ : أُمْعَاءُهُ .

(١٤٠) حديث ضعيف : أخرجه أبو داود (٢٥٣٢) وأبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان ص (٤٧) وإسناده ضعيف فيه يزيد بن أبي نشبة وهو مجهول كما في التقريب وضعف إسناده المنذرى في مختصر سنن أبي داود (٣٨٠/٣) لهذا السبب .

..... الشرح

تكفير أهل القبلة بالمعاصي

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها لا يكفرون بفعل الكبائر ولا يخرجون من الإسلام بذلك ولا يخلدون في النار لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾

[الحجرات : ٩]

إلى قوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات : ١٠]

فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية .

وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى : « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُوهُ » يعنى من النار . متفق عليه (١٤١) .

وخالف في هذا طائفتان :

الأولى : الخوارج قالوا : فاعل الكبيرة كافر خالد في النار .

الثانية : المعتزلة قالوا : فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار . ونرد على الطائفتين بما يأتي :

١ - مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة .

٢ - مخالفتهم لإجماع السلف .

(١٤١) تقدم تخريجه ص (١٠٠) .

[٨٦] ومن السنة تولى أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، والكف عن ذكر مساوئهم ، وما شجر بينهم ، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم ، قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[الحشر : ١٠]

وقال تعالى :

﴿ تَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[الفتح : ٢٩]

..... الشرح

حقوق الصحابة رضى الله عنهم

للصحابة رضى الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحفظ دين الله بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ علما وعملا وتعلما حتى بلغوه الأمة نقيا طرياً .

وقد أثنى الله عليهم فى كتابه أعظم ثناء حيث يقول فى سورة الفتح :

﴿ تَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾

[الفتح : ٢٩] إلى آخر السورة .

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ : « لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدُهُمْ وَلَا نَصِيفُهُ » متفق عليه . (١٤٢) فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق فلهم على الأمة :

١ - محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان .

٢ - الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

٣ - الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله ﷺ : « لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي » الحديث .

[٨٧] وقال النبي ﷺ : « لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدُهُمْ وَلَا نَصِيفُهُ » (١٤٣) .

(١٤٢) البخارى : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً ... » (٣٦٧٣) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤١) (٢٢٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم .

* مُدٌّ أحدهم : المُدُّ بضم الميم ربع الصاع ، والنَّصِيف : بمعنى النصف .

(١٤٣) تقدم تخريجه .

..... الشرح

حكم سب الصحابة

سب الصحابة على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يسبهم بما يقتضى كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضى عنهم بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق .

الثاني : أن يسبهم باللعن والتقييح ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال .

الثالث : أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب « الصارم المسلول » ونقل عن أحمد في ص (٥٧٣) قوله : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فَمَنْ فعل ذلك أُدْبَ فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع » .

[٨٨] ومن السنة : الترضى عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء ، أفضلهم خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه ، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

..... الشرح

حقوق زوجات النبي ﷺ

زوجات النبي ﷺ زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات

مطهرات طيبات مطيبات بريئات مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن
فالتطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فرضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله
وسلم على نبيه الصادق الأمين .

زوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن :

١ - خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد زوجين الأول عتيق بن عابد والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها حتى
ماتت سنة ١٠ هـ من البعثة قبل المعراج .

٢ - عائشة بنت أبي بكر الصديق أريها صلى الله عليه وسلم في المنام^(١٤٤) مرتين أو ثلاثاً
وقيل : « هذه امرأتك » فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها
تسع سنين توفيت سنة ٥٨ هـ .

٣ - سودة بنت زمعة العامرية تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن
عمرو أخو سهيل بن عمرو توفيت آخر خلافة عمر وقيل سنة ٥٤ هـ .

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوج مسلم هو
خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد وماتت سنة ٤١ هـ .

٥ - زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين تزوجها بعد استشهاد زوجها
عبدالله بن جحش في أحد وماتت سنة ٤ هـ بعد زواجها بيسير .

٦ - أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة
عبدالله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد وماتت سنة ٦١ هـ .

٧ - زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد مولاه زيد بن
حارثة سنة ٥ هـ وماتت سنة ٢٠ هـ .

(١٤٤) البخارى : كتاب مناقب الأنصار : باب تزويج النبی صلى الله عليه وسلم عائشة ...
(٣٨٩٥) .

ومسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل عائشة ... (٢٤٣٨) (٧٩) من حديث
عائشة رضى الله عنها .

٨ - جويرية بنت الحارث الخزاعية تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان
وقيل : مالك بن صفوان سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٦هـ .

٩ - أم حبيبة رملة بنت أوى سفيان تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو
عبدالله بن جحش وماتت فى المدينة فى خلافة أخيها سنة ٤٤هـ .

١٠ - صفية بنت حى بن أخطب من بنى النضير من ذرية هرون بن عمران
ﷺ اعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم والثانى كنانة
بن أوى الحقيق بعد فتح خير سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٠هـ .

١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها سنة ٧هـ فى عمرة القضاء بعد
زوجين الأول ابن عبد ياليل والثانى أبو رهم بن عبد العزى بنى بها فى سرف وماتت
فيه سنة ٥١هـ .

فهذه زوجات النبى ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما :
خديجة وزينب بنت خزيمة وتسع توفى عنهن وهن البواقى .

وبقى اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت
للسابقات وهما :

١ - أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبى ﷺ ثم فارقها واختلف فى
سبب الفراق فقال ابن اسحق إنه وجد فى كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده
المهاجر بن أوى أمية .

٢ - أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهى التى قالت : « أعوذ بالله
منك » (١٤٥) ففارقها والله أعلم .

(١٤٥) راجع تلخيص الحبير لابن حجر (١٣٢/٢ ، ١٣٣) .

وأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما ولكل منهما مزية على الأخرى^(١٤٦) فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور .

قذف أمهات المؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر لأنه تكذيب للقرآن وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم أصحهما أنه كفر لأنه قدح في النبي ﷺ فإن الخبيثات للخبيثين .

[٨٩] ومعاوية خال المؤمنين ، وكاتب وحي الله ، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم .

..... الشرح

معاوية بن أبي سفيان

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ولد قبل البعثة بخمس سنين وأسلم عام الفتح وقيل : أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه ولأه عمر الشام

(١٤٦) قال الحافظ الذهبي في سير اعلام النبلاء (٢/١٤٠) في ترجمة أم المؤمنين عائشة : « وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها الحمراء . ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة حبها . ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها . وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أيها وهذا مردود وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، بل نشهد أنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر ، وإن كان للصديق خديجة شأن لا يلحق وأنا واقف في أيتهما أفضل . نعم جازمت بأفضلية خديجة عليها لأمر ليس هذا موضعها ، أ.هـ .

واستمر عليه وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧ هـ واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١ هـ كان يكتب للنبي ﷺ ومن جُملة كُتّاب الوحي توفي في رجب سنة ٦٠ هـ عن (٧٨) سنة وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونهم ويقدحون فيه وسماه خال المؤمنين لأنه آخر أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ص (١٩٩) ج (٢) نزاعاً بين العلماء هل يُقال لأخوة أمهات المؤمنين أحوال المؤمنين أم لا ؟

[٩٠] ومن السنة : السَّمْع والطَّاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمرُوا بمعصية الله ، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله .

[٩١] ومن وَلِيَّ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وَسُمِّيَ أمير المؤمنين ، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين .

..... الشرح

الخلافة

الخلافة منصب كبير ومسؤولية عظيمة وهي تُؤلَّى تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك . وهي فرض كفاية لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة :

الأول : النص عليه من الخليفة السابق كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه .

الثاني : اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن

الخطاب رضى الله عنه أم غير معين كما فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه على أحد الأقوال وكما فى خلافة على رضى الله عنه .

الثالث : القهر والغلبة كما فى خلافة عبدالملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له .

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة فى غير مَعْصِيَةِ الله لقوله تعالى :

﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اطِيعُوْا اللهَ وَاطِيعُوْا الرَّسُوْلَ وَاُوْلٰى الْاَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

[النساء : ٥٩]

ولقوله ﷺ : « السَّمْعُ والطَّاعَةُ عَلَى الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » متفق عليه . (١٤٧)

وسواء كان الإمام برّاً وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركاً أو فاجراً وهو الفاسق لقوله ﷺ : « إِلَّا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَإِلَ فَرَّاهَ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكُرْهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةِ » . رواه مسلم (١٤٨)

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً لأن مخالفتهم فى ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم .

(١٤٧) البخارى : كتاب الأحكام : باب السمع والطاعة (٧١٤٤) .

ومسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء ... (١٨٣٩) (٣٨) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(١٤٨) مسلم : كتاب الإمارة : باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥) (٦٦) .

من حديث عوف بن مالك رضى الله عنه .

والحديث الذى ذكره المؤلف: «ثلاث من أصل الإيمان ... الخ» ضعيف كما رمز له السيوطى فى الجامع الصغير وفيه راو قال المزى إنه مجهول وقال المنذرى فى مختصر أبى داود: شبه مجهول. (١٤٩).

والثلاث خصال المذكورة فيه هى: الكف عمن قال: لا إله إلا الله والثانية الجهاد ماضٍ ... الخ والثالثة الإيمان بالأقدار.

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان» متفق عليه (١٥٠).

وقال ﷺ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُشْكِرُونَ فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِءَ وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قَالُوا: أَفَلَا تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا مَاصِلُ لََا مَاصِلُوا». أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم (١٥١).

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح لأن النبى ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة فدل على أن تركها مبيح لقتالهم وقاتلهم لا يباح إلا بكفر بواح كما فى حديث عبادة.

(١٤٩) تقدم تخريجه ص (١٤٨).

(١٥٠) البخارى: كتاب الفتن: باب قول النبى ﷺ: «سترون بعدى أموراً ...» (٧٠٥٥) (٧٠٥٦)

ومسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأُمراء ... (١٧٠٩) (٤٢) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

(١٥١) مسلم: كتاب الإمارة: باب خيار الأئمة (١٨٥٤) (٦٣) (٦٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه.

[٩٢] ومن السنة : هجران أهل البدع ، ومُباينتهم ، وترك الجدل والخصومات في الدين ، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم ، وكل محدثة في الدين بدعة .

..... الشرح

هجران أهل البدع

الهجران مصدر هجر وهو لغة : الترك والمراد بهجران أهل البدع الإبتعاد عنهم وترك محبتهم ومولاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك .

وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

[المجادلة : ٢٢]

ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك . (١٥٢)

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك وربما يكون ذلك مطلوباً لقوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلِغَتِكَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥]

وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة ومن هجر أهل البدع ترك النظر في كتبهم خوفاً من الفتنة بها أو ترويحاً بين الناس فالابتعاد

(١٥٢) قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه في الصحيحين : البخارى (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) (٥٣) .

وراجع الكلام على فقه القصة وما فيها من الفوائد والحكم في كتاب زاد المعاد لابن القيم (٥٥٨/٣) .

عن مواطن الضلال واجب لقوله ﷺ في الدجال : « مَنْ سَمِعَ بِهِ فَلْيُنَا عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَنْتَعُثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » . رواه أبوداود قال الألباني : وإسناده صحيح (١٥٣) .

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم بل ربما كان واجباً لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

الجدال والخصام في الدين

الجدال : مصدر جادل والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه وفي القاموس الجدل : اللدد في الخصومة والخصام المجادلة فهما بمعنى واحد .

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين :

الأول : أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً بحسب الحال لقوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥]

الثاني : أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه لقوله تعالى :

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[غافر : ٤]

(١٥٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٤٣/٤ ، ٤٤١) وأبوداود (٤٣١٩) والحاكم (٥٣١/٤) .

من حديث عمران بن حصين .

وقد صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠١) وتخرج المشكاة (٥٤٨٨) .

وقوله :

﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

[غافر : ٥]

* * *

. [٩٣] وكل مُتَّبِعٍ بغير الإسلام والسُّنة مبتدع ، كالرافضة ، والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة، والمعتزلة والكرامية والكلاية ونظائرهم فهذه فرق الضلال ، وطوائف البدع ، أعاذنا الله منها .

..... الشرح

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم :

لأهل البدع علامات منها :

- ١ - أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية .
- ٢ - أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .
- ٣ - أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين .

ومن طوائفهم :

- ١ - الرافضية : وهم الذين يغفلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة أو يفسقونهم وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن علياً إله ومنهم دون ذلك .

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبدالله بن سبأ أنت الإله فأمر علي رضي الله عنه بإحراقهم وهرب زعيمهم عبدالله بن سبأ إلى المدائن .

ومذهبهم في الصفات مختلف فمنهم المشبه ومنهم المعطل ومنهم المعتدل وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سأله عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه . وسموا أنفسهم شيعة لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة .

٢ - **الجهمية** : نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١ هـ مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي وفي القدر القول بالجبر وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة .

٣ - **الخوارج** : وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم .

مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده في النار وهم فرق عديدة .

٤ - **القدرية** : وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة وهم فرقتان غلاة وغير غلاة فالغلاة ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقضوا أو كادوا . وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله وقدرته وخلقه وهو الذي استقر عليه مذهبهم .

٥ - **المرجئة** : وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأجيله عنه فليس العمل عندهم من الإيمان والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات وإذا حكمنا

بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الاقرار بقلبه لا لترك هذا العمل وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض .

٦ - المعتزلة : أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر وهو مخلد في النار وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين .

٧ - الكرامية : أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة .

٨ - السالمية : أتباع رجل يقال له ابن سالم يقولون بالتشبيه .

وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال : ونظائرهم مثل الأشعرية أتباع الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعلن توبته من ذلك وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعا زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت :

حى عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر
ولهم بدع أخرى في معنى الكلام والقدر وغير ذلك .

* * *

[٩٤] وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم ، فإن الاختلاف في الفروع رحمة ، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم ، مثابون في اجتهادهم ، واختلافهم رحمة واسعة ، واتفاقهم حجة قاطعة .

[٩٥] نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ، ويحيينا على الإسلام والسنة ، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة ، ويحشرنا في زمرة بعد الممات برحمته وفضله ، آمين .

وهذا آخر المعتقد ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

..... الشرح

الخلافا في الفروع

الفروع: جمع فرع وهو لغة : مابنى على غيره ، واصطلاحاً: ما لايتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها .

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد لا عن هوى وتعصب لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة : « لَا يُصَلِّينَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ قَبْلَ وُصُولِهِمْ فَأَخَّرَ بَعْضُهُم الصَّلَاةَ حَتَّى وَصَلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ وَصَلَّى بَعْضُهُمْ حِينَ خَافُوا خُرُوجَ الْوَقْتِ وَلَمْ يُتَكَّرِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ » رواه البخارى (١٥٤) . ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون ولأنه لا يورث عداوة ولا بغضاء ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول .

وقول المؤلف « المختلفون فيه محمودون في اختلافهم » ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه وإنما المراد به نفي الذم عنه وأن كل واحد محمود على ما قال لأنه مجتهد فيه يريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد

(١٥٤) البخارى : كتاب صلاة الخوف : باب الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً (٩٤٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

لا يصيب الحق وقوله: « إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة »
 أى داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر
 مما ظهر لهم فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله
 وعفوه إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد .

الإجماع وحكمه

الإجماع لغة : العزم والاتفاق . واصطلاحاً : اتفاق العلماء المجتهدين من أمة
 محمد ﷺ على حكم شرعى بعد النبی ﷺ وهو حجة لقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

[النساء : ٥٩]

وقول النبي ﷺ : « لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ » . رواه الترمذی (١٥٥) .

(١٥٥) حديث صحيح : أخرجه الترمذی (٢١٦٧) وابن أبى عاصم في السنة (٨٠)
 والحاكم (١١٥/١ ، ١١٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٦١/١) من حديث ابن عمر وقال
 الترمذی « حديث غريب » وإسناده ضعيف كما في تخریج السنة للألبانی (٤٠/١) وله طريق آخر
 عند الطبرانی في الكبير (٤٤٧/١٢) وإسناده حسن . وقال الهيثمی في المجمع (٢١٨/٥) : « رواه
 الطبرانی بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة »
 أ.هـ .

وللحديث شواهد كثيرة : منها حديث ابن عباس مرفوعاً « لا يجمع الله أمتي - أو قال
 هذه الأمة - على ضلالة ويد الله على الجماعة » أخرجه الحاكم (١١٦/١) واقتصر الترمذی على
 الجملة الأولى منه وإسناده جيد .

ومنها حديث أبى مسعود : أخرجه ابن أبى عاصم في السنة (٨٥) والطبرانی في الكبير
 (٢٣٩/١٧ ، ٢٤٠) والحاكم (٥٠٦/٤ ، ٥٠٧) وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمی في المجمع
 (٢١٩/٥) : « رجاله ثقات » وقال الحافظ في التلخيص (١٤١/٢) : « إسناده صحيح ومثله
 لا يقال من قبل الرأى » .

= وراجع تلخيص الحبير (١٤١/٢) للإطلاع على بقية شواهد .

التقليد

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق . واصطلاحاً : اتباع قول الغير بلا حجة .

وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى :

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل : ٤٣]

والمذاهب المشهورة أربعة :

المذهب الحنفي : وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ .

المالكي : وإمامه أبو عبدالله مالك بن أنس إمام دار الهجرة ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ .

الشافعي : وإمامه أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٠٤هـ .

الحنبلي : وإمامه أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ .

= والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً
وتم التعليق على هذا الكتاب النافع المفيد « شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة » للشيخ محمد الصالح
العثيمين في صباح يوم الجمعة الموافق ٦ من شهر رجب ١٤١٠هـ .

بمصر . مدينة الإسماعيلية على يد الفقير إلى عفو ربه أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم
غفر الله لوالديه ولجميع المسلمين . آمين .

* * *

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية والزيدية والسفيانية وغيرهم وكل
يؤخذ من قوله ما كان صواباً ويترك من قوله ما كان خطأ ولا عصمة إلا في كتاب
الله وسنة رسوله ﷺ .

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً وأن
يتوفانا على ذلك وأن يتولانا في الدنيا والآخرة وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن
يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحمد لله كثيراً . كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه عز جلاله
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه .

تم في عصر الجمعة الموافق ١٠/١/١٣٩٢هـ

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العشيمين

الفهارس العامة للكتاب

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - فهرس الأحاديث
- ٣ - فهرس الآثار
- ٤ - فهرس الموضوعات

١ - فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	٨٠
أعدت للكافرين	٢٤	١٣٣، ١٣١
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي	٤٧	١٣٨
إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً	١١٩	١٠١
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه	٢٥٥	١٣٠، ١٢٩
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله	٢١٠	٥٢، ٥١
منهم من كلم الله	٢٥٣	٧١، ٧٠
وهو العلي العظيم	٢٥٥	٦٥
واتقوا الله ويعلمكم الله	٢٨٢	٤
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢٨٦	٩٤، ٣٤
سورة آل عمران		
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون	٧	٣٣، ٣٢
وما يعلم تأويله إلا الله	٧	٣٢
والراسخون في العلم يقولون	٧	٣٣، ٣٢
فزادهم إيماناً	١٧٣	٩٩
أعدت للمتقين	١٣٣	١٣٣، ١٣١
كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠	١٣٨
سورة النساء		
والله يريد أن يتوب عليكم	٢٧	٩٧
فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى	٥٩	١٦٥
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	٦٥	١٣٦
ومن يطع الله والرسول فأولئك	٦٩	١٣٥
وغضب الله عليه ولعنه	٩٣	٥٥
ومن يشاقق الرسول من بعد	١١٥	٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
إن المنافقين يخادعون الله	١٤٢	٢٥
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن	١٥٩	١٠٦
وكلم الله موسى تكليماً	١٦٤	٧١، ٧٠
لئلا يكون للناس على الله حجة	١٦٥	٩٤، ٩٣
ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق	١٦٩، ١٦٨	١٣٢
سورة المائدة		
اليوم أكملت لكم دينكم	٣	٤٣
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم	٥٤	٥٤، ٥٣
بل يدها مبسوطتان	٦٤	٥٠، ٤٩، ٢٠
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في	١١٦	٥١
رضي الله عنهم ورضوا عنه	١١٩	٥٣، ٥٢
سورة الأنعام		
كتب ربكم على نفسه الرحمة	٥٤	٥١
فمن يرد الله أن يهديه يشرح	١٢٥	٩٧، ٩٣، ٨٩
يوم يأتي بعض آيات ربك	١٥٨	١١٠
لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن	١٥٨	١١٠
سورة الأعراف		
قل إنما حرم ربي الفواحش	٣٣	٢٠
ألا له الخلق والأمر	٥٤	٧٨
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه	١٤٣	٧٢
لن تراني	١٤٣	٨٧
يا موسى إني اصطفيتك على الناس	١٤٤	٧٠
ولله الأسماء الحسنى	١٨٠	٢١
سورة الأنفال		
ويعكرون ويمكر الله والله خير الماكرين	٣٠	٢٤
سورة التوبة		
وإن أحد من المشركين استجارك	٦	٧٨
ولكن كره الله انبعاثهم	٤٦	٥٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة يونس		
وإذا تتلى عليهم آياتنا قال	١٥	٨٣، ٨٠
سورة هود		
فأما الذين شقوا ففى النار	١٠٦	١٣٣
إن ربك فعال لما يريد	١٠٧	٩١
سورة إبراهيم		
يثبت الله الذين آمنوا بالقول	٢٧	١١١
سورة النحل		
فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم	٤٣	١٦٦
ولله المثل الأعلى	٦٠	٢٤
قل نزله روح القدس من ربك	١٠٢	٧٤
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة	١٢٥	١٦٠، ١٥٩
سورة الإسراء		
سبحان الذى أسرى بعبده	١	١٠٢
عسى أن يعثلك ربك مقاماً	٧٩	١٣٧
قل لئن اجتمعت الإنس والجن	٨٨	٨٥، ٧٧
سورة الكهف		
ولا يظلم ربك أحداً	٤٩	٢٥
حتى إذا بلغ بين السدين	٩٤، ٩٣	١٠٨
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً	١٠٥	١٢١
سورة مريم		
كهيعص	١	٨٠
وأنذرهم يوم الحسرة	٣٩	١٣٤
وناديناه من جانب الطور الأيمن	٥٢	٧٣
وإن منكم إلا واردها	٧١	١٢٦
سورة طه		
الرحمن على العرش استوى	٥	٦٩، ٦٨، ٦١
الرحمن على العرش استوى	٧-٥	٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
فلما أتاها نودى ياموسى • إني	١٢، ١١	٧٣، ٧٠
وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى	١٣	٧٤
إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى	١٤	٧٣، ٧٠
ولا يحيطون به علماً	١١٠	٢٦
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم	١١٥	٢٨
سورة الأنبياء		
لا يسئل عما يفعل وهم يسألون	٢٣	٨٥
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى	٢٨	١٣٠، ١٢٨
ونضع الموازين القسط ليوم	٤٧	١٢٠
كما بدأنا أول خلق نعيده	١٠٤	١١٦
حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج	٩٧، ٩٦	١٠٩
سورة الحج		
ألم تعلم أن الله يعلم ما فى	٧٠	٩٢
سورة المؤمنون		
فمن ثقلت موازينه فأولئك	١٠٣، ١٠٢	١٢٠
سورة الفرقان		
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده	١	٧٨
وخلق كل شىء فقدره تقديراً	٢	٩٣، ٨٩
سورة الشعراء		
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من	٨٩، ٨٨	٤
سورة التمل		
وإذا وقع القول عليهم أخرجنا	٨٢	١١٠
سورة العنكبوت		
بل هو آيات بينات فى صدور الذين	٤٩	٨٣، ٨٠
سورة الأحزاب		
وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم	٧	١٣٥
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة	٢١	٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
ما كان محمد أباً أحد من رجالكم	٤٠	١٣٦
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم	٦٥، ٦٤	١٣٢
سورة سبأ		
لن نؤمن بهذا القرآن	٣١	٧٩
سورة يس		
فإذا هم من الأجداث إلى ربهم	٥١	١١٤، ١١١
وما علمناه الشعر وما ينبغي له	٦٩	٨٥، ٧٩
أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت	٧١	٥٠
سورة الصافات		
والله خلقكم وما تعملون	٩٦	٩٦، ٩٣
سورة الزمر		
الله خالق كل شيء	٦٢	٩٦
ونفخ في الصور فصعق من	٦٨	١١٤
سورة غافر		
ما يجادل في آيات الله إلا	٤	١٦٠
اليوم تجزي كل نفس بما	١٧	٩٥، ٩٤
وجادلوا بالباطل ليدحضوا	٥٠	١٦١
سورة فصلت		
لا يأتيه الباطل من بين يديه	٤٢	٨٥، ٧٧
سورة الشورى		
حمّ . عسق	٢ ، ١	٨٠
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	١١	٣٠، ٢٨، ٢٦
		٦١، ٣٥، ٣٤
شرع لكم من الدين ما وصى به	١٣	١٣٦
وما كان لبشر أن يكلمه الله	٥١	٧٠
وكذلك أوحينا إليك روحاً	٥٢	٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الزخرف		
فلما آسفونا انتقمنا منهم	٥٥	٥٥
إن المجرمين في عذاب جهنم	٧٥، ٧٤	١٣١
سورة محمد		
فهل ينظرون إلا الساعة	١٨	١٠٥
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط	٢٨	٥٦، ٥٥
سورة الفتح		
ليزدادوا إيماناً	٤	٩٨
غضب الله عليهم	٦	٥٤
محمد رسول الله والذين معه	٢٩	١٥٠
سورة الحجرات		
وإن طائفتان من المؤمنين	٩	١٤٩
إنما المؤمنون إخوة	١٠	١٤٩
سورة النجم		
والنجم إذا هوى • ما ضل	٢، ١	١٠٢
لقد رأى من آيات ربه الكبرى	١٨	١٠٢
سورة القمر		
إنا كل شيء خلقناه بقدر	٤٩	٩٢، ٨٩
سورة الرحمن		
ويبقى وجه ربك ذو الجلال	٢٧	٤٨
سورة الواقعة		
قل إن الأولين والآخرين	٥٠، ٤٩	١١٥
إنه لقرآن كريم • في كتاب	٧٩-٧٧	٨٣، ٨٠
فلولا إذا بلغت الحلقوم	٨٤، ٨٣	١١٢
فأما إن كان من المقربين فروح	٨٩، ٨٨	١١٣
سورة المجادلة		
لا تجد قوماً يؤمنون بالله	٢٢	١٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحشر		
والذين جاءوا من بعدهم	١٠	١٥٠
سورة التغابن		
قل بلى ورنى لتبعثن	٧	١١٥
فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	٩٥، ٩٣
سورة الحديد		
ما أصاب من مصيبة في الأرض	٢٢	٩٢، ٨٩
أعدت للذين آمنوا بالله	٢١	١٣٣
سورة الطلاق		
ذلك أمر الله أنزله إليكم	٥	٧٨
سورة الملك		
تبارك الذى بيده الملك	١	٥٠
ءأمنتم من فى السماء	١٦	٦٥
سورة الحاقة		
هاؤم اقرعوا كتابيه	١٩	١٢٣
وأما من أوتى كتابه بشماله	٢٥	١٢٢
ياليتنى لم أوت كتابيه	٢٦، ٢٥	١٢٣
سورة الجن		
ومن يعص الله ورسوله فإن	٢٣	١٣٢
سورة المدثر		
إن هذا إلا سحر يؤثر	٢٤	٨٥
إن هذا إلا قول البشر	٢٥	٨٥، ٧٩
سأصليه سقر	٢٦	٨٥، ٧٩
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٤٨	١٣٠
سورة القيامة		
وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها	٢٣، ٢٢	٨٧، ٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المطففين		
كلا إن كتاب الفجار لفي سجين	٧	٣٣
كلا إنهم عن ربهم يومئذ	١٥	٨٧، ٨٦
كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين	١٨	١٣٢
سورة الانشقاق		
فأما من أوتى كتابه يمينه	٧-١٢	١٢٢، ١١٥
سورة الطارق		
إنهم يكيدون كيداً • وأكيد كيداً	١٥، ١٦	٢٥
سورة الغاشية		
إن إلينا إيابهم ثم إن علينا	٢٥، ٢٦	١١٧
سورة الفجر		
وجاء ربك	٢٢	٥٢، ٥١
سورة البينة		
وما أمروا إلا ليعبدوا الله	٥	٩٩، ٩٨
جزاءهم عند ربهم جنات عدن	٨	١٣٢
سورة المسد		
تبت يدا أبي لهب وتب	١	١٤٧

• • •

٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	الراوي	الحديث
٩١،٩٠	أنس	آمنت بالقدر خيره وشره
١٤٧،٤٤	سعيد بن زيد	أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة
٦٧،٦٥	حصين بن عبيد	أترك الستة واعبد الذي في السماء
٧٦،٧٢	النواس بن سمعان	إذا أراد الله أن يوحى بأمره
٧٦،٧١	ابن مسعود	إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته
١٣٨	أبى بن كعب	إذا كان يوم القيامة كنت إمام
٢٢	ابن مسعود	أسألك بكل اسم هو لك
٦٧،٦٥	معاوية بن الحكم	اعتقها فإنها مؤمنة
٨١	سهل بن سعد	اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم
٥٦	عائشة	اللهم إني أعوذ برضاك من
١١٧	عائشة	اللهم حاسبني حساباً يسيراً
١٢٩	أبو سعيد	أما أهل النار الذين هم أهلها
١٢٢	عائشة	أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر
١٤٣	أبو بكر	إن ابني هذا سيد ولعل الله أن
٧٥	أبو هريرة	إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها
٦٢	العباس بن عبد المطلب	إن بعدما بين سماء إلى سماء
٩٠	ابن عمر	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
١١٢	أنس	إن العبد إذا وضع في قبره
١٢٥	أبو سعيد	إن لكل نبي حوضاً وإنهم
٢٢	أبو هريرة	إن لله تسعة وتسعين اسماً
٩٢	عبد الله بن عمرو	إن الله قدر مقادير الخلق
٥٥	أبو هريرة	إن الله كتب كتاباً عنده فوق
٥٧	المغيرة بن شعبة	إن الله كره لكم قيل وقال
٦٢	أبو هريرة	إن الله لما قضى الخلق كتب
٥٣	أنس بن مالك	إن الله ليرضى عن العبد أن
٣٥		إن الله يرى في الآخرة
٣٥	أبو هريرة	إن الله ينزل إلى السماء الدنيا

الحدث	الراوي	الصفحة
إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة	العباس	٦٥
أن موسى عليه السلام ليلة رأى		٧١
أنا سيد الناس يوم القيامة	أبو هريرة	١٣٦
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	أبو سعيد الخدري	١٣٧
إنك لست من أهل النار	أنس	١٤٦
إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها	سعد بن أبي وقاص	٤٨
إنكم تحشرون حفاة عراة		١١٦
إنكم ترون ربكم كما ترون	جرير	٨٦
إنكم سترون ربكم كما	جرير	٨٧
إنه من أهل الجنة	أنس	١٤٤
إنها لن تقوم حتى تروا قبلها	حذيفة بن أسيد الغفاري	١١٠، ١٠٩
إنهم يسجدون بالأرض ويزعمون		٦٥
إني رأيت الجنة فتناولت منها	ابن عباس	١٣١
إني فرطكم على الحوض	سهل بن سعد وأبو سعيد	١٢٣
أهون أهل النار عذاباً أبو طالب	النعمان بن بشير	١٤٧
أول ما يحاسب به العبد يوم	أبو هريرة	١١٩
أول ما يقضى بين الناس يوم	ابن مسعود	١١٩
إلا من ولى عليه وال فرآه	عوف بن مالك	١٥٧
الإيمان أن تؤمن بالله	ابن عمر	٩١
الإيمان بضع وسبعون شعبة	أبو هريرة	٩٨
بايعنا رسول الله ﷺ على	عبادة بن الصامت	١٥٨
بلغني أنه أدق من الشعر	أبو سعيد	١٢٧
تجرى بهم أعمالهم ونيكم	أبو هريرة وحذيفة	١٢٧
ثلاث من أصل الإيمان	أنس	١٥٨، ١٤٨
ثم يضرب الجسر على جهنم	أبو سعيد	١٢٦
ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه	عبد الله بن عمرو	١١٤
حتى إذا لم يبق إلا من يعبد	أبو سعيد الخدري	٥٢
حتى يمر آخرهم يسحب سحباً	أبو سعيد	٢٧
الحسن والحسين سيّدا	أبو سعيد الخدري	١٤٩، ١٤٤
الخلافة من بعدى ثلاثون	سفينة أبو عبد الرحمن	١٤٣، ١٤٠

الصفحة	الراوي	الحديث
١٤٠	ابن مسعود	خير الناس قرني
١٤٨	عائشة	رأيتني يجر أمعاءه في النار
٦٦	أبو الدرداء	ربنا الله الذي في السماء
١٢٦	أبو سعيد الخدري	سئل النبي ﷺ عن الصراط
٥١	جويرية	سبحان الله وبحمده عدد
١٥٧	ابن عمر	السمع والطاعة على المسلم
٤٠، ٣٩	العرباض بن سارية	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
١٤٣، ١٣٨		
١٢٨	أبو هريرة	فأكون أنا وأمتي أول من
١٠٩	النواس بن سمعان	فبينما هو كذلك إذ أوحى
١٠٨	زينب بنت جحش	فتح اليوم من ردم يأجوج
١٢٠	عبد الله بن عمرو	فتوضع السجلات في كفة
١٠٣	أبو هريرة	فلو كنت ثم لأريتكم قبره
١٢٩	أبو سعيد	فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة
١٣٣	البراء بن عازب	فيقول الله عز وجل : اكتبوا
١٢٧	أبو سعيد	فيمر المؤمنون كطرف العين
١١٣	البراء بن عازب	فينادي مناد من السماء أن
١٠٥	ابن عباس	قولوا اللهم إني أعوذ بك من
٦٦	حذيفة	كان النبي ﷺ يقول في صلاته
١٢٠	أبو هريرة	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن
١٤٢	ابن عمر	كنا نخير بين الناس في زمن
١٣٨	ابن عمر	كنا نقول والنبي ﷺ حي : أفضل
١٦٥	ابن عمر	لا تجتمع أمتي على ضلالة
١٥١	أبو سعيد الخدري	لا تسبوا أصحابي فوالذي
١١٠	أبو هريرة	لا تسبوا الدهر فإن الله هو
١١٠	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى تطلع
١٦٤	ابن عمر	لا يصلين أحد العصر إلا في
٥٤	سهل بن سعد	لأعطين الراية غداً رجلاً
١٣٩	أبو الدرداء	ما طلعت الشمس ولا غربت
١١١	البراء بن عازب	المسلم إذا سئل في القبر

الحدث	الراوي	الصفحة
من سمع به فليناً عنه	عمران بن حصين	١٦٠
من سمع به فليناً ومن أدركه	النواس بن سمعان	١٠٦
من قرأ القرآن فأعربه فله	ابن مسعود	٨٤، ٨١
من كان في قلبه مثقال حبة		١٤٩
نحن آخر الأمم وأول من	ابن عباس	١١٩
نحن الآخرون السابقون	أبو هريرة وحذيفة	١١٩
هذه امرأتك	عائشة	١٥٣
وإني والله لأنظر إلى حوضي	عقبة بن عامر	١٢٥
وإياكم ومحدثات الأمور	العرباض بن سارية	٤٠
وقني شر ما قضيت	الحسن بن علي	٩٢، ٩٠
ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح	ابن عباس	٧٥
والله لينزلن عيسى ابن مريم		١٠٦
ولولا أنا لكان في الدرك	العباس بن عبد المطلب	١٣٠
يا أهل الجنة خلود ولا موت	أبو سعيد	١٣٣
يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح	أبو سعيد الخدري	١٣٤
يحشر الله الخلائق فيناديهم	عبد الله بن أنيس	٧٣
يحشر الناس يوم القيامة عراة	عبد الله بن أنيس	١١٦
يحشر الله الخلائق يوم القيامة	عبد الله بن أنيس	٧١
يحشر الناس يوم القيامة على أرض	سهل بن سعد	١١٥
يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله	أنس	١٠٠، ٩٨
يضحك الله إلى رجلين قتل	أبو هريرة	٦٠
يعجب ربك من الشاب ليست	عقبة بن عامر	٥٩، ٥٨
يقول الله لأهل الجنة : يا أهل	أبو سعيد الخدري	٧٥
يقول الله يوم القيامة : يا آدم	أبو سعيد الخدري	١٠٨
يكون عليكم أمراء تعرفون	ابن مسعود	١٥٨
يمين الله ملأى لا يغيضها	أبو هريرة	٤٩
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل	أبو هريرة	٥٨
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	٥٨

٣ - فهرس الآثار

الآثر	الراوي	الصفحة
آمنت بالله وبما جاء عن الله	الإمام الشافعي	٣٦
الاستواء غير مجهول والكيف	الإمام مالك	٦٩
اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم	ابن مسعود	٤١
إعراب القرآن أحب إلينا من	أبو بكر وعمر رضي الله	
	عنهما	٨٤، ٨٢
خير هذه الأمة بعد نبيها	على	١٣٨
عليك بآثار مَنْ سلف وإن	الأوزاعي	٤٢، ٤
فاصبر نفسك على السنة	الأوزاعي	٤
قف حيث وقف القوم فإنهم	عمر بن عبد العزيز	٤١
الكرسي موضع القدمين والعرش	ابن عباس	٦٤
من كفر بحرف منه فقد كفر به	على	٨٤، ٨٢
نؤمن بها ونصدق بها لا كيف	الإمام أحمد	٣٥
هل عَلِمَهَا رسول الله ﷺ	الأذرمي	٤٤

٤ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
● مقدمة التحقيق	٣
- عملنا في الكتاب	٦
- الطبقات السابقة لمتن لمعة الاعتقاد لابن قدامة	٦
● ابن قدامة المقدسي في سطور	٨
- اسمه ونسبه	٨
- ولادته	٨
- نشأته ورحلاته	٨
- ورعه وزهده	٨
- شيوخه	٩
- تلاميذه	٩
- من أقوال العلماء فيه	٩
- تصانيفه	٩
● فصل : في ذكر تصانيف ابن قدامة في الاعتقاد	١١
● فصل : نبذة عن الشيخ العثيمين وتصانيفه في الاعتقاد	١٣
- نسبه	١٣
- مولده	١٣
- نشأته	١٣
- تقدّمه في العلم وجهوده في مجال الدعوة	١٣
- تصانيفه في الاعتقاد	١٤
كتاب شرح لمعة الاعتقاد	
الهادي إلى سبيل الرشاد	١٧
● مقدمة الشّارح	١٩
● قواعد هامة في الأسماء والصفات	٢٠

- القاعدة الأولى : في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء
 الله وصفاته ٢٠
- القاعدة الثانية : في أسماء الله . وتحت هذه القاعدة فروع :
 ٢١
- ١- أسماء الله كلها حسنى ٢١
- ٢- أسماء الله غير محصورة بعدد معين ٢٢
- ٣- أسماء الله لا تثبت بالعقل بل بالشرع ٢٣
- ٤- كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة
 التى تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه ٢٣
- القاعدة الثالثة : في صفات الله وتحتها فروع أيضاً :
 ٢٤
- ١- صفات الله كلها عليا من صفات كمال ومدح ليس فيها نقص ٢٤
- ٢- صفات الله تنقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية ٢٥
- ٣- الثبوتية قسمين : ذاتية وفعلية ٢٥
- ٤- كل صفة من صفات الله يتوجه عليها ثلاثة أسئلة ٢٦
- القاعدة الرابعة : فيما نرد به على المعطلة ٢٧
- مقدمة صاحب المتن (ابن قدامة) ٢٨
- ما تضمنته خطبة الكتاب ٢٩
- التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات ٣١
- تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها ٣٢
- تحرير القول فى النصوص من حيث الوضوح والإشكال ٣٣
- معنى الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وحكم كل منها ٣٤
- حكاية كلام أئمة السلف فى الصفات ٣٥
- ما تضمنه كلام الإمام أحمد فى أحاديث النزول وشبهها ٣٦
- ما تضمنه كلام الإمام الشافعى ٣٧
- طريق السلف الذى درجوا عليه فى الصفات ٣٨

٣٩	• الترغيب في السنة والتحذير من البدعة
٤٠	– السنة والبدعة وحكم كل منها
٤٣	– الآثار الواردة في الترغيب بالسنة والتحذير من البدعة
٤٤	– مناظرة جرت عند خليفة بين الأذرمي وصاحب بدعة
٤٨	• ذكر بعض آيات الصفات
٤٨	– الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى
٤٨	الصفة الأولى : الوجه
٤٩	الصفة الثانية : اليدين
٥١	الصفة الثالثة : النفس
٥٢	الصفة الرابعة : المجيء
٥٣	الصفة الخامسة : الرضى
٥٤	الصفة السادسة : المحبة
٥٥	الصفة السابعة : الغضب
٥٦	الصفة الثامنة : السخط
٥٦	الصفة التاسعة : الكراهة
٥٨	• ذكر بعض أحاديث الصفات :
٥٨	الصفة العاشرة : النزول
٥٩	الصفة الحادية عشرة : العجب
٦٠	الصفة الثانية عشرة : الضحك
٦١	الصفة الثالثة عشرة : الاستواء على العرش
٦٥	الصفة الرابعة عشرة : العلو
٧٠	• فصل : كلام الله تعالى
٧١	الصفة الخامسة عشرة : الكلام
٧٢	– المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى
٧٢	الطائفة الأولى : الجهمية
٧٣	الطائفة الثانية : الأشعرية

٧٤	- تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام
٧٧	● فصل : القرآن كلام الله
٧٨	- القول في القرآن
٨٣	- القرآن حروف وكلمات
٨٤	- أوصاف القرآن
٨٦	● فصل : رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
٨٧	- رؤية الله في الآخرة
٨٩	● فصل : القضاء والقدر
٩١	- القدر
٩٢	- الإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور
٩٣	- القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية
٩٥	- التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله ، وكونه كسباً للفاعل
٩٦	- المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم
٩٦	الطائفة الأولى : الجبرية
٩٦	الطائفة الثانية : القدرية
٩٧	- أقسام الإرادة والفرق بينها
٩٨	● فصل : الإيمان قول وعمل
٩٩	الإيمان لغة واصطلاحاً
١٠١	● فصل : الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ
١٠١	السَّمْعِيَّات
١٠٢	الأمر الأول : الإسراء والمعراج
١٠٣	الأمر الثاني : مجيء ملك الموت إلى موسى ﷺ
١٠٥	الأمر الثالث : أشراط الساعة
١٠٥	١ - خروج الدجال
١٠٦	٢ - نزول عيسى ابن مريم

الموضوع	الصفحة
٣ - يأجوج ومأجوج	١٠٨
٤ - خروج الدابة	١١٠
٥ - طلوع الشمس من مغربها	١١٠
٠ - فتنة القبر	١١١
- عذاب القبر أو نعيمه	١١٢
- النفخ في الصور	١١٤
- البعث والحشر	١١٥
- الحساب	١١٧
- الموازين	١٢٠
- نشر الدواوين	١٢١
- صفة أخذ الكتاب	١٢٣
- الحوض	١٢٣
- صفة الحوض	١٢٤
- الصراط	١٢٦
- صفة الصراط	١٢٦
- العبور على الصراط وكيفيته	١٢٧
- الشفاعة	١٢٨
- الجنة والنار	١٣١
- مكان الجنة والنار	١٣٢
- أهل الجنة وأهل النار	١٣٣
- ذبح الموت	١٣٤
• فصل : حقوق النبي ﷺ وأصحابه	١٣٥
- خصائص النبي ﷺ	١٣٦
- فضائل الصحابة	١٤٠

١٤٤	- الشهادة بالجنة أو بالنار
١٤٥	- المعينون من أهل الجنة
١٤٧	- المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة
١٤٩	- تكفير أهل القبلة بالمعاصي
١٥٠	- حقوق الصحابة رضي الله عنهم
١٥٢	- حكم سب الصحابة
١٥٢	- حقوق زوجات النبي ﷺ
١٥٥	- قذف أمهات المؤمنين
١٥٥	- معاوية بن أبي سفيان
١٥٦	- الخلافة
١٥٧	- حكم طاعة الخليفة
١٥٩	- هجران أهل البدع
١٦٠	- الجدال والخصام في الدين
١٦١	- علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم
١٦١	١- الرافضية
١٦٢	٢- الجهمية
١٦٢	٣- الخوارج
١٦٢	٤- القدرية
١٦٢	٥- المرجئة
١٦٣	٦- المعتزلة
١٦٣	٧- الكرامية
١٦٣	٨- السالبة
١٦٤	- الخلاف في الفروع
١٦٥	- الإجماع وحكمه
١٦٦	- التقليد

- الفهارس العامة للكتاب ١٦٩
- ١- فهرس الآيات ١٧١
- ٢- فهرس الأحاديث ١٧٩
- ٣- فهرس الآثار ١٨٣
- ٤- فهرس الموضوعات ١٨٥

* * *

توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام : ت ٨٢٧١٨١١ • المدينة : ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥